السبت 13 آذار 2021
العدد 4294 السنة الخامسة عشرة
Samedi 13 mars 2021 nº 4294 15ème année

24 صفحة
2000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

يا جَسي
كلّ النصوص تقود إلى غانا

«إسرائيل» تقرأ «في عقل نصر الله»:
فضيحة استخبارات وفضيحة صحافة [2]

تأليف الحكومة في رقاد طويل [5]

الحرب على الصرّافين: جعجعة بلا طحين
[4 ـ 5]

(هيثم الموسوي)

تقرير

سوريا تتحدّى أزمة القمح: **لا انقطاعات في 2021**

10

اليمن

تصعيد الضغوط على صنعاء: **توقّعات استخباريّة غربيّة بقرب سقوط مأرب**

11

تقرير

بايدن يُطبّق «رؤى» بومبيو: **مزاحمة الصين على الجبهات كافّة**

14

قضية اليوم

فضيحة صحافة واستخبارات في «إسرائيل»: أهوَ عقل «أمان» أم عقل نصر الله؟

إبراهيم الأمين

أتابع الإعلام الإسرائيلي منذ تسعينيّات القرن الماضي، كنّا نحصل على صحف العدوّ من خلال بريد خاص في قبرص. صديق لديه اشتراك في صحف «إسرائيل» يرسلها مع صديق يعمل في شركة طيران الشرق الأوسط، وينتظرها زميل تعلّم العبريّة عن بُعد. قبل أن يصل إلى بيروت مترجمون عاشوا في السجون الإسرائيلية، ثم انطلق عالم الإنترنت في بلادنا، وكانت «إسرائيل» سبّاقة، ما أفادنا في الحصول على كلّ دوريّاتها، سواء الصحافية أو نشرات دراسية أو خلافه. ولطالما تميّز الكثير من الصحافيّين والكتّاب في «إسرائيل» بمعرفة واسعة، والأهم، بدرجة عالية من الاستقلالية، برغم مقصّ الرقابة العسكريّة الصارم. وكان الأفضل في تلك الفئة من الإعلاميين الإسرائيليين، عدم الانجرار الى البروباغندا الرديئة، حتى لو اقتضت المصلحة العليا لبلادهم ذلك.

مفاجأة أمس، ليست سوى إشارة إضافية الى تدهور يحصل في «إسرائيل» على مستويات كثيرة، من بينها الصحافة نفسها. لا أعرف كيف قبلت إدارة التحرير في صحيفة «يديعوت أحرونوت» تلقّي هذه الإهانة المهنية ووافقت على إنتاج مادة كان يمكن لطالب في كلية الإعلام أن يعدّ ما هو أفضل منها لو طلب منه أستاذه إعداد بحث موجز عن شخصية عدو إسرائيل الأبرز، أي السيّد حسن نصر الله.

على مدى أيام، روّجت الدعاية الإسرائيلية لحدث صحافي سينشر يوم الجمعة (أمس) ويتعلّق بكشف شعبة «أمان» (الاستخبارات العسكرية في جيش العدوّ) معلومات مصنّفة تتعلق بالسيّد نصر الله. وتم أمس نشر التقرير المفصّل تحت عنوان «الملفّ السرّي لنصر الله، في أمان». ومع أن الموجز الذي سرّب في الأيام الماضية لم يكن يحمل عناوين مغرية، إلا أن الصدمة كانت في التقرير نفسه الذي كان من الأفضل نشره في موقع «ديبكا» وبقلم رئيس تحريره المشهور بنقص صدقيّته، غيورا شاميس، وليس عبر كاتبين مخضرمين وبارزين مثل يوسي يهوشع ورؤوفين فايس.

من المفيد الإشارة أولاً، إلى أن التقرير يستند إلى مقابلات مع عاملين في «أمان»، وهي أكبر الأجهزة الاستخبارية الإسرائيلية وأكثرها كلفةً من حيث الموازنة. ويتركّز نشاطها حول جمع وتحليل المعلومات العسكرية من خلال المصادر المختلفة، وتتولّى مهمة تشخيص الإنذار المبكر ضد الحرب والأنشطة العسكرية المعادية بشكل عام. إضافة إلى أنها مكلّفة بإعداد التقدير الاستخباري الاستراتيجي لوضعه أمام صانعي القرار في «إسرائيل». ولذلك يجري وصف «أمان» بأنه جهاز «التقدير القومي» لدى العدوّ، ولأوراقه دور بارز في صياغة سياسات تل أبيب تجاه الأطراف المعادية. ويشكّل قسم الأبحاث (الذي ينتمي إليه الضبّاط الذين أجروا المقابلة) نواة «أمان»، بوصفه الجهة التي تتجمّع فيها كلّ المواد الاستخبارية الواردة ليقوم بمعالجتها وتحليلها واستخلاص التقديرات اللازمة منها. ومن بين هؤلاء، عناصر من متخرّجي برنامج «حبتسالوت»، وهو البرنامج العَلَم لسلاح الاستخبارات الذي يجمع بين الخدمة الدائمة ودراسات العلوم السياسية وعلوم الشرق الأوسط، بالاندماج مع الأقسام التحليلية الآتية: علوم الكومبيوتر، الرياضيات، الاقتصاد والسياسة. ويتطوّع لاختبار برنامج «حبتسالوت» (تعني بالعربية زهرة الزنبق أو النرجس، سبق أن ذكرت في التوراة وطبعت على عملة الشيكل) نحو 50 متدرباً ومتدربة سنوياً. يتمّ العمل على تأهيلهم لدور ضباط الاستخبارات الرائدين الذين يتعاملون مع القضايا المركزية على جدول الأعمال الوطني والعسكري.

> **كان من الأفضل نشر التقرير نفسه في موقع «ديبكا» وبقلم رئيس تحريره المشهور بنقص صدقيّته، غيورا شاميس**

حقيقةً، يحتار المرء في تقييم الصحافيين الذين نشروا التقرير للذين قدّموا لهم المعلومات. كان عليهم التدقيق فعلياً عمّا إذا كانوا أمام محلّلين وضبّاط جهاز محترف، أم أمام مجموعة هواة يحترفون الرصد الإعلامي. وبداهةً، كما يحلو لهم القول تكراراً، كان على الصحافيين إدراك أن «إسرائيل» في قلب معركة محتدمة وقاسية جداً. وفي هذه الحالة، لا تخسر الاستخبارات معلومات ذات قيمة من دون ضمان نتائج توازي أهمية المعلومة. وهذا ما ظهر في مضمون التقرير الذين يمكن الجزم بأنه «يخلو من أي معلومة ذات طابع استخباري»... لم تقدم لكم «أمان» أي معلومة ذات قيمة استخبارية، وهو أمر بالمناسبة يمكن فهمه لمن يعيش في قلب صراع بهذا الحجم. وحتى لا يتكرر الاستخفاف بكم مرة جديدة، سأروي لكم ماذا يجري من صوبنا نحن. هل تعتقدون مثلاً أن أجهزة الأمن السياسية والعسكرية التابعة للمقاومة، يمكنها أن تتسلّى بما يؤذي احترافيّتها عبر ضخّ معلومات ساذجة وسخيفة في الإعلام بقصد التبجّح؟ كان يفترض بصحافيّي العدوّ المحترفين ألّا يقعوا في هذا الفخ، وأن تتصرّفوا ـ وإن كان هذا الكلام لا يُسعدكم ـ بمنطق التماثل. وأنا أفيدكم هنا، بأنه لا يجدر بكم تخيّل أن حزب الله مستعدّ لمنحنا مقابلة مع متخصّصين في رصد قيادات العدو الاستراتيجيين، وتوفير تحليلهم ومعطياتهم لنا... أبداً هذا لن يحصل!

لكن، لنعد قليلاً إلى يوم قبل نشر التقرير، حين جرى حوار في القناة 12 الإسرائيلية حول التقرير. وفيه يسأل المحاور عن الهدف من التقرير، فيأتي الجواب مباشرة ومن دون تحضير على لسان يعقوب أخيمئير، وهو صحافي مخضرم ومقدم برامج سابق في قناة «كان»: التبجّح، التبجّح...

يحاول آفي بنياهو، وهو ناطق باسم الجيش الإسرائيلي سابقاً كبحَه بالردّ: كلا. لكن أخيمئير يكمل حديثه: كل أسبوع هناك مسرح، يقول لنا نجحت ونجحنا وفتحنا ملف نصر الله، كفى، حقاً كفى!

لكن بنياهو يحاول رتق الموقف: من الممكن أننا نريد أن نريه إلى أيّ مدى هو مكشوف، ومن الممكن أن هناك أموراً أخرى مكشوفة، كي يعلم بألّا يتعاطى معنا. كل ذلك عمل استخباري، تخفيض التصنيف الأمني لمعلومات استخبارية من أجل احتياجات عملانية، أفترض أنه يوجد هنا اعتبار من هذا النوع، لم يقم أيّ أحد بأيّ أمر سياسي إن قام طاقم من عناصر الخدمة النظامية في وحدة الأبحاث في أمان..

ومع ذلك يعود أخيمئير ليصدم الحضور: أكره هذا التبجّح كثيراً، بالتأكيد الأسبوع المقبل أيضاً سيكون هناك «انتصرنا» مرة أخرى...

الأمر هنا ليس سباقاً بين من يسجّل النقاط على الآخر. المسألة هنا في التواطؤ السيئ بين الصحافة وأركان المؤسسة العسكرية والأمنية في «إسرائيل» لمواجهة «عجز ما» أو حتى «عقدة نفسية». وهو عجز يتّصل بعدم قدرة العدوّ، ليس على عدم تحمّل تعاظم قوة المقاومة العسكرية وحسب، بل أيضاً على عدم تحمّل الموقع المتقدّم جداً الذي يحتلّه نصر الله في الوعي عند الجمهور الإسرائيلي، وليس حصراً عند أهل القرار في «إسرائيل». ويبدو أن حجم الأضرار والخشية لدى الجمهور الإسرائيلي، هو ما دفع بالقيادة العليا للجوء إلى الاستخبارات العسكرية، من أجل الترويج لبعض المفردات حول شخص السيد نصر الله، وإنْ مع إقرار لا بدّ منه، بصدقيّته وجدّية تهديداته وقدرته على تنفيذها، وتحديداً ما يتّصل باستهداف العمق الإسرائيلي.

ماذا يريدون أن يقولوا لنا؟ هل هي رغبة في ادّعاء المعرفة لدى الاستخبارات العسكرية، الى حدّ الزعم بأنه لم يبق شيء لا تعرفه «إسرائيل»، حتى لو كان في خانة النيّات المبيّتة، ومن دون أن يسأل من يفترض أنه يجري مقابلة؛ كيف لإسرائيل ألّا تُجهز على قيادة حزب الله دفعة واحدة ومن دون بصمة، طالما هي قادرة على معرفة النيّات في الصدور، وليس حصراً أماكن وجود قادة حزب الله وتدابيرهم...

ماذا يعني أن تخرج المقابلة مع 15 ضابطاً ومتخصّصاً وباحثاً ـ يعملون ليل نهار لجمع المعلومات وتوفير تحليلهم ومعطياتهم لنا... أبداً هذا لن يحصل!

لكن، لنعد قليلاً إلى يوم قبل نشر التقرير، حين جرى حوار في القناة 12 الإسرائيلية حول التقرير. وفيه يسأل المحاور عن الهدف من التقرير، فيأتي الجواب مباشرة ومن دون تحضير على لسان يعقوب أخيمئير، وهو صحافي مخضرم ومقدم برامج سابق في قناة «كان»: التبجّح، التبجّح...

يحاول آفي بنياهو، وهو ناطق باسم الجيش الإسرائيلي سابقاً كبحَه بالردّ: كلا. لكن أخيمئير يكمل حديثه: كل أسبوع هناك مسرح، يقول لنا نجحت ونجحنا وفتحنا ملف نصر الله، كفى، حقاً كفى!

لكن بنياهو يحاول رتق الموقف: من الممكن أننا نريد أن نريه إلى أيّ مدى هو مكشوف، ومن الممكن أن هناك أموراً أخرى مكشوفة، كي يعلم بألّا يتعاطى معنا. كل ذلك عمل استخباري، تخفيض التصنيف الأمني لمعلومات استخبارية من أجل احتياجات عملانية، أفترض أنه يوجد هنا اعتبار من هذا النوع، لم يقم أيّ أحد بأيّ أمر سياسي إن قام طاقم من عناصر الخدمة النظامية في وحدة الأبحاث في أمان..

ومع ذلك يعود أخيمئير ليصدم الحضور: أكره هذا التبجّح كثيراً، بالتأكيد الأسبوع المقبل أيضاً سيكون هناك «انتصرنا» مرة أخرى...

الأمر هنا ليس سباقاً بين من يسجّل النقاط على الآخر. المسألة هنا في التواطؤ السيئ بين الصحافة وأركان المؤسسة العسكرية والأمنية في «إسرائيل» لمواجهة «عجز ما» أو حتى «عقدة نفسية». وهو عجز يتّصل بعدم قدرة العدوّ، ليس على عدم تحمّل تعاظم قوة المقاومة العسكرية وحسب، بل أيضاً على عدم تحمّل الموقع المتقدّم جداً الذي يحتلّه نصر الله في الوعي عند الجمهور الإسرائيلي، وليس حصراً عند أهل القرار في «إسرائيل». ويبدو أن حجم الأضرار والخشية لدى الجمهور الإسرائيلي، هو ما دفع بالقيادة العليا للجوء إلى الاستخبارات العسكرية، من أجل الترويج لبعض المفردات حول شخص السيد نصر الله، وإنْ مع إقرار لا بدّ منه، بصدقيّته وجدّية تهديداته وقدرته على تنفيذها، وتحديداً ما يتّصل باستهداف العمق الإسرائيلي.

ماذا يريدون أن يقولوا لنا؟ هل هي رغبة في ادّعاء المعرفة لدى الاستخبارات العسكرية، الى حدّ الزعم بأنه لم يبق شيء لا تعرفه «إسرائيل»، حتى لو كان في خانة النيّات المبيّتة، ومن دون أن يسأل من يفترض أنه يجري مقابلة؛ كيف لإسرائيل ألّا تُجهز على قيادة حزب الله دفعة واحدة ومن دون بصمة، طالما هي قادرة على معرفة النيّات في الصدور، وليس حصراً أماكن وجود قادة حزب الله وتدابيرهم...

ماذا يعني أن تخرج المقابلة مع 15 ضابطاً ومتخصّصاً وباحثاً ـ يعملون ليل نهار لجمع المعلومات عن نصر الله وتحليلها ـ بهذه المعطيات التي لا تزيد عمّا هو موجود في الإعلام العربي عن حزب الله وأمينه العام وعن عائلته وما يرتبط به، صحيحة كانت أو مختلقة أو محوّرة، وجرى عرضها للجمهور الإسرائيلي في سياقات محدّدة وموجّهة، للإيحاء، بالقدرة على تحصيل المعرفة والربط بين الأمور، ومن بينها مقابلة نصر الله مع «الأخبار» عام 2014.

«أمان» تعرف الكثير، غير ما أعطته للصحافيين الإسرائيليين. وحتى لا تخرجوا من المولد بلا حمّص، سأفيدكم بالآتي:

نصر الله لا يعيش تحت الأرض، وهو يسافر خارج لبنان، ويتنقّل بين المدن والقرى وفي الشوارع والأحياء. ولديه فرق متخصّصة في كلّ شيء، وجدول أعمال فيه من جو بايدن إلى مختار ميس الجبل ورئيس المجلس المحلّي في مستوطنة شلومي.. وبالمناسبة، يداه تلامسان الأشجار دوماً!

في عقل نصر الله

يديعوت أحرونوت (المطبوعة) ـ يوسي يهوشع ورؤوفين فايس

نشرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية، في ملحق يوم الجمعة (أمس)، تقريراً مطوّلاً عن الأمين العام لحزب الله، السيد حسن نصر الله، تحت عنوان «في رأس نصر الله». التقرير الذي جاء لافتاً في توقيته وشكله ومضمونه وجهات إعداده في الاستخبارات العسكرية «أمان»، تضمّن جملة مغالطات لا يبعد أن تكون مقصودة وموجّهة، وإن كانت لا تبدو موجّهة لجمهور المقاومة وبيئته في لبنان، بل إلى الجمهور الإسرائيلي. التقرير المنشور بقرار من القيادة العسكرية ـ الاستخبارية ـ السياسية في كيان العدو، هو حصيلة مقابلات مع عدد من العاملين في شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية، مختصّين بملف نصر الله، جمعاً للمعلومات وتحليلاً. لكن، وبخلاف الترويج الكبير له في الأيام التي سبقت نشره في «يديعوت»، لم يحمل التقرير معلومات ذات أهمية فائقة، ولم يكشف سراً، لا بل اعتمد في أجزاء منه على أخبار وتقارير منشورة سابقاً في الإعلام، جرت صياغتها بصورة توحي بأنها نتيجة عمل استخباري احترافي.

ويتضمّن التقرير عبارات وتوصيفات «غريبة» لم ترد في الإعلام العبري سابقاً عن نصر الله، وتحديداً في تقرير أعدّته الاستخبارات العسكرية.

التقرير مطوّل، في ما يلي أبرز ما ورد فيه:

«مصاب بجنون العظمة. ومصاب بالشك. مهووس بالإعلام الإسرائيلي، ويقرأ كل كلمة تُكتب عنه. نرجسي، واقع في أزمة هوية. سوبر فطن. لا ينوي بالفعل التقاعد قريباً، ولا يُعدّ وريثاً له. فريق الباحثين في أمان، الذي يتابع الأمين العام لحزب الله 7/24 يكشف لأول مرة: هكذا يبدو «ملف حسن نصر الله» لدى الاستخبارات الإسرائيلية.

«حسن نصر الله يعيش الإعلام الإسرائيلي»، توضح الدكتورة «ق»، وهي باحثة استراتيجية كبيرة في لواء الأبحاث في أمان، والتي منذ عقد تحلم وتتنفس 7/24 الأمين العام لحزب الله. «إنه يعرف كل المراسلين. هذا هو سبيله للتعلم عن المجتمع الإسرائيلي، الجمهور الإسرائيلي، كي يستطيع الترأسل معه مباشرة. في المدة الأخيرة، الإعلام الإسرائيلي يمنحه منبراً حتى أكثر من الإعلام عنده، في لبنان. الأهمية التي يلقاها من الإعلام عندنا، تواصل فقط تغذية نرجسيته».

الدكتورة «ق» هي جزء من فريق يضم أكثر من 15 باحثاً في لواء الأبحاث في أمان، وكلهم يركّزون على أمر واحد: تحليل شخصية الأمين العام لحزب الله وأعماله، من أجل التكهن بردود أفعاله على السيناريوات المختلفة. إنهم يُحدّثون طوال الوقت المعلومات التي تتدفّق إليهم، سواء من مصادر علنية او بوسائل استخبارية سرية، وبينهن «ملف نصر الله» للاستخبارات الإسرائيلية.

شخصيته مثيرة جداً للاهتمام ومعقّدة، ولا يمكن معرفة كل شيء عنه. لديه كفاءة سياسية ـ استراتيجية فريدة، وفي العقود الثلاثة الأخيرة، ينفي صورته كزعيم لا ينازَع. إنه مركزي جداً، سرّي، يقلّل من التشاور، ومنهمك بنفسه إلى حد النرجسية.

إحدى الخلاصات التي توصّلوا إليها في الفريق هي أن نصر الله ممزّق بين هويّتين: الدينية، الإسلامية، الملتزمة؛ والهوية السياسية، البراغماتية، حيث لديه أيضاً سكان مدنيون يديرهم.

«ق»: «ضميره الأخلاقي الصارم يسبّب له توتراً بنيوياً بين الالتزام الديني لإيران وبين بلده لبنان».

يقول النقيب «ا»، عضو الفريق: «إنه متعضب كثيراً لشخصه، ولا يسمح لآخرين بالنموّ بقربه. إنه لا يبني وريثاً لليوم الذي لن يكون فيه، ويحتفظ بحرص على صولجان السيطرة العسكرية. اتخاذ القرارات هو عليه ـ والكلمة الأخيرة كلمته بالكامل».

الدكتورة «ق» وكل أعضاء فريقها، ينتمون إلى «ساحة إرهاب»، أو باسمها التقليدي «ساحة لبنان»، التي يرأسها العقيد «ن». تحته تعمل المقدّم «ا»، التي تعمل رئيسة للقسم الاستراتيجي، ويخضع لها ثلاثة رؤساء فروع برتبة نقيب: فرع سياسي، الذي يبحث في الأنشطة السياسية لنصر الله؛ فرع استراتيجي، الذي يبحث في مجاله السياسي ـ العسكري؛ وفرع اقتصادي. كل فرع مؤلف من عدة خلايا، تضم جنوداً وجنديات، بعضهم احتياطيون في مجالات شرق أوسطية، العلوم السياسية والإعلام، وبعضهم متخرّجو برنامج «حبتسالوت» أو دورات داخلية أخرى لشعبة الأبحاث في أمان. وينضم إليهم أيضاً باحثون خبراء، بعضهم مدنيون موظفون في الجيش الإسرائيلي، والذين يخضعون مباشرة لرئيس لواء الأبحاث في أمان، مثل الدكتورة «ق»، المتخصصة في العلاقات الدولية ودراسات الأمن ونالت شهادة الدكتوراه في الأمن الإقليمي بالتركيز على نصر الله. كل هذا المجهود الاستخباري، كما قلنا، يتركّز على شخص واحد، الذي لا يزال يشكّل، أيضاً بعد ما يقرب من 30 سنة، نوعاً من لغز. في خطوة نادرة، سمح الجيش الإسرائيلي لـ«يديعوت أحرونوت» بلقاء عدد من الخبراء بساحة لبنان، من أجل إلقاء نظرة نادرة على «ملف نصر الله».

الأمر الأكثر أساسية الذي يجب فهمه في سياق نصر الله هو الموقع العميق للدّين في حياته. النقيب «ا»، رئيس فرع حزب الله ـ استراتيجي في ساحة لبنان، يقول إن «نصر الله هو رجل دين، يصلّي مثل أي شيعي جيد». ويتابع النقيب «ا»: «ولا أيّ قرار في لبنان يمرّ من دون موافقة حزب الله. لديه سلاح، وهو المنظّمة الأقوى والمسيطرة هناك».

النقيب «ا»: «إنه لا يخرج من المنزل، لا يقترب من النوافذ. عملياً، لا يرى ضوء النهار. إنه يفهم جيداً أنه لحظة يطلّ برأسه، إسرائيل تعلم أين هو. هذا يجعله شخصاً معزولاً جداً.

بهذه المسلكية، يدفع ثمناً شخصياً جسدياً. يوضح النقيب «ا»: «خلال خطاباته، نحن نرى كيف أنه يتصرّف بثقل. في المكان الذي ينغلق فيه، ليس لديه إمكانية إدارة حياة رياضية. كونه لا يتعرّض للشمس، تنقصه فيتامينات مثل فيتامين دي».

وكيف في وضع كهذا ينجح في إدارة منظّمة معقّدة مثل حزب الله؟

ج: «بعد كل هذه السنوات الطويلة جداً على رأس المنظمة، هناك ما يُسمّى «روح القائد». يكفي نقله تعليمات، ويعلمون ما الذي يريده».

«توجيهات نصر الله واضحة جداً للمنظّمة»، توضح الملازم «هـ»، رئيسة خلية «جبهة»، التي تتابع الشأن العسكري في عمل نصر الله تجاه إسرائيل. «رد على كل قتيل لبناني، على كل مسّ بالسيادة. الحفاظ على مبدأ التناسبية. إنهم يعرفون كيف يرى الردّ، وكيف كان يريد أن يتجلّى».

«بسبب خشيته من اكتشافه، لا يملك هاتفاً جوّالاً. الرسائل يمرّرها عبر الأشخاص القلّة الذين هو على اتصال بهم ـ نائبه، الشيخ نعيم قاسم، ورئيس اللجنة التنفيذية هاشم صفي الدين. نحن ندرسهما أيضاً، بداهةً، كيف يمرّر نصر الله الرسائل عبرهما. شفهياً، أو حتى كتابةً.

«نصر الله هو بطل في التعلّم، وعرف دائماً اكتشاف نفسه من جديد. لكن الآن، تحت ضغوط جمّة بعد تصفية سليماني، الأوراق في لبنان اختلطت. معسكر نصر الله في فوضى. في قاعدته الشعبية، ينبرون ضدّه أكثر فأكثر.

* * *

عزلة نصر الله، يقولون، تتزايد مع السنين. هذا أيضاً من ناحية مهنية وشخصية على حدّ سواء. الملازم ثاني «ش»: «ليس لديه أحد يمكنه الاعتماد عليه، وهو يخشى أيضاً أن يكبّر أحدهم ويهدّد هيمنته. مركزيّته الهائلة، وحقيقة أنه لا يعوّل على أحد، تتناسبان ونرجسيّته. بالمناسبة، أيضاً في ظروف الاختباء التي يعيشها، هناك من يهتمّ بقصّ شعره وتشذيب لحيته قبل كل خطاب.

(الدكتورة «ق»): «إذا كان «مقدّساً» لغاية سنة 2006، وفي المجتمع الشيعي كلهم قالوا «آمين» لكل قرار له، بعد إحراب لبنان الثانية هناك تصدّعات في التأييد. لا يزال رمزاً، لكن هناك من ينبرون ضده».

«لناحية العمر، إنه ضمن مجموعة الخطر، ما يوفّر له سبباً لعدم الخروج، ومبرراً شرعياً لعدم الالتقاء أو الاجتماع لاتخاذ قرارات مشتركة. هذا ساعده في معاظمة سياسته فزق تسُد».

النقيب «ا»: «الكورونا وفّرت له فرصة التمأسس أقوى كزعيم طائفة. الناس انتظروا ما سيقوله: «لا تخرجوا من المنزل». وهو يحبّ هذا، عندما يصغي إليه الشيعة».

ومع كل هذا، رغم سنّه، والعبء الكبير والضغوط الواقع فيهم، باحثو الساحة يمكنهم القول إن نصر الله يذهب للنوم متأخراً، ولا يزال يحرص على تعلّم الدين.

رغم أن الإسرائيليين يصغون جيداً لكل تهديد من الأمين العام لحزب الله، بحسب الملفّ، الأمر الأساسي الذي يعني نصر الله حالياً هو المعركة الداخلية الطائفية والمعقّدة جداً في لبنان.

تقول المقدّم «ا»: «في حياته اليومية، نصر الله ينهمك كثيراً بالمنظومة اللبنانية أكثر من المنظومة الإقليمية. إنها شرعية وجوده هناك. الصحيح إلى الآن، المنظومة الإقليمية تعنيه تقريباً مثل قشرة الثوم».

وتكشف الدكتورة «ق»: «من المهم جداً له أن يشاهدوا خطاباته. بحسب المعطيات، نسبة المشاهدة لخطاباته في لبنان آخذة في الانخفاض، وهو مزعج جداً من استمرار هذا.

المقدّم «ا»: أساس خطابه الأخير تناول مواضيع داخلية لبنانية. طبعاً في الإعلام الإسرائيلي ما تمّ اقتباسه وتصدّر العناوين كان المقاطع التي تطرّق فيها إلينا ـ ردّ على كلمة رئيس الأركان في معهد أبحاث الأمن القومي، حذّر من التدهور إلى حرب مع إسرائيل، وقدّم صيغة معادلته، مدينة مقابل مدينة. لكن هذا كان جزءاً صغيراً فقط من كل الخطاب. رسالته لم تكن عدوانية، بل العكس. الملازم ثاني «ش»، رئيسة الخلية الإقليمية، توضح أكثر: «خطابه الأخير طال أكثر من ساعة ونصف ساعة. فقط الدقائق الخمس الأخيرة خصصها للكلام الذي قاله تجاه إسرائيل. هذا يتكرّر كثيراً جداً في خطاباته في المدّة الأخيرة».

> **اعتمد في أجزاء منه على أخبار وتقارير منشورة سابقاً في الإعلام، صيغت بصورة توحي بأنها نتيجة عمل استخباري احترافي**

(هيثم الموسوي)

OMT تستأنف جميع خدماتها

استأنفت شركة OMT كافّة خدماتها عبر جميع مراكز وكلائها في لبنان وذلك بعدما تمكّن الفريق الفنّي من إصلاح العطل التقني.

وتؤكّد الشركة أنه يمكن لزبائنها استلام الأموال الواردة من الخارج عبر Western Union نقداً وبالدولار الأميركي حصراً كما استلام وتحويل الأموال داخل لبنان.

إن OMT إذ تتوجّه بالاعتذار من زبائنها الكرام، تقدّر تفهّمهم وتعدهم بالبقاء دائماً بخدمتهم.

OMT

على الغلاف

الدولار نحو 12 ألف ليرة
الحرب على الصرّافين: جعجعة بلا طحين

إعلان الحرب على الصرّافين ومنصّات الصرافة الإلكترونية لم يُفلح بعد في وقف جنون سعر صرف الدولار. وصل سعر الدولار الى نحو 11800 ليرة ليل أمس، في ظلّ امتناع عدد كبير من الصرّافين عن بيع العملة الخضراء. يحصل ذلك على إيقاع مسرحيات قضائية لم تنجح في كشف المتسبّب بانهيار سعر الصرف أو لجمه، بينما يتسبّب المسؤولون السياسيون بزيادة الهلع بتصريحاتهم. في ظلّ شكوك بلجوء صرافين إلى زيادة السعر عمداً ليقولوا إنه لا غنى عن عملهم، وإنهم لم يتلاعبوا بالسعر في الأسابيع الماضية. كل ذلك يُهدد بخلق سوق سوداء بديلة من الموجودة سيتوافر فيها الدولار، لكن باضعاف سعره الحالي!

(هيثم الموسوي)

رضوان مرتضى

أعلنت الدولة اللبنانية الحرب على الصرّافين. اجتمع القضاء والأجهزة الأمنية لملاحقة وتعقّب الصرّافين ومنصّات الصرافة الإلكترونية بتهمة رفع سعر الدولار. السبب المباشر للاستنفار المفاجئ كان بلوغ سعر صرف الدولار الأميركي عشرة آلاف ليرة. أوعز أهل السياسة لأهل القضاء والأمن، عقب اجتماع أمني اقتصادي في بعبدا، لتحرّك الوحدات الإلكترونية في الأمن العام وقوى الأمن الداخلي وأمن الدولة. استُدعي عدة أشخاص يملكون منصّات لتسعير الدولار ليُطلب منهم إغلاق المنصّات والتوقيع على تعهّد بعدم تشغيلها مجدداً. غير أنّ المنصّات الرئيسية لم يتم التوصّل إلى تحديد هوية مشغّليها. وخلُصت الأجهزة الأمنية إلى أنّ مشغّلي بعضها يستخدمون برامج تشفير لإخفاء المعلومات والبلد الذي تبثّ منه. كما تبيّن أن بعضها يعمل من تركيا ومصر وسوريا والولايات المتحدة الأميركية. وقد طلب النائب العام التمييزي القاضي غسان عويدات مساعدة قضائية من السلطات الأميركية تقضي بالعمل على «حجب المواقع الإلكترونية المخصصة لتحديد سعر الدولار مقابل الليرة اللبنانية في السوق السوداء، وذلك لمخالفتها أحكام قانون النقد الوطني والقيام بمضاربات هدفها السيطرة على تحديد سعر صرف الدولار، وزعزعة الثقة بالمالية العامة للدولة اللبنانية، وإفساد قاعدة العرض والطلب عبر الغش». وقد أرفق طلبه بعناوين المواقع.

> الحملة الأمنية قد تُغلق السوق السوداء القائمة، لكنّها ستخلق سوقاً بديلة ترفع سعر الدولار بشكل جنوني

ترافق ذلك مع حملة أمنية لتوقيف عدد من الصرّافين. كل هذا لم يؤدّ إلى لجم سعر الدولار، إنما لجم الصرّافين أنفسهم. فقد عمد عشرات الصرّافين إلى مغادرة المجموعات الناشطة على تطبيق «واتسآب» في أعمال الصرافة عرضاً للدولار وطلباً. أما كلمة السرّ فكانت: «أطلب منكم الخروج من كل المجموعات وبسرعة، وذلك بطلب من السلطات المختصة ولكم الشكر». هذه العبارة كانت كفيلة بإقفال عشرات مجموعات الصرافة وتوقف الصرّافين عن العمل، إلا أنّ ذلك لم يثبّت سعر الليرة. مجدداً، في التوقيت نفسه الذي تهاوى فيه السعر قبل أسبوع، أي بعد ظهر يوم الجمعة، بدأ سعر الدولار بالارتفاع. وقد وصل هذه المرة إلى 11800 ليرة في بعض العمليات الصغيرة ليلاً. حتى بهذا السعر، لم يكن الدولار متوفراً. إذ كان جواب الصرّافين بأن لا دولار لديهم للبيع. بقيت أسباب ارتفاع السعر في أيام العطل لغزاً لم يُفكّ بعد. إذ إنّ الأسواق مغلقة والمصارف مقفلة والحدود مع سوريا ليست مفتوحة. كما أن التبرير الذي ساق الأسبوع الماضي حيث ربط ارتفاع الدولار بطلب المصارف عليه لتأمين نسبة 3% المطلوبة لرسملة المصارف لم يعد موجوداً هذا الأسبوع. فلماذا يرتفع الدولار في هذا التوقيت بالتحديد؟ يقول أحد الصرافين لـ«الأخبار» إنّ «الدولار بلا سقف»، مبرّراً ارتفاع سعر الصرف بأنّ «الصرّافين يرفضون البيع خوفاً من الملاحقة». صرّاف آخر رأى أنّ الارتفاع مردّه أنّ «الطلب على الدولار تركّز في يومين فقط، جزاء توقيف عدد من الصرّافين في الأيام السابقة، ما حال دون تأمين الدولار للعديد من الشركات». مشيراً إلى أنه «خلال اليومين الماضيين عاود الصرّافون العمل وعادت المجموعات إلى النشاط مجدداً»، واعتبر أنّ «توقيف الصرّافين تسبّب بردّة فعل عكسية». ويقول هذا الصرّاف إنّ التسعيرة الدولار تضعها مجموعات وفوضى أهلية وجوع. وهنا بيت القصيد، إذ إنّ أحد المتابعين للملفات التحقيق يرى أنّ الحملة التي تُشنّ على الصرّافين قد تقضي على السوق السوداء الموجودة، لكنها حتماً ستخلق سوقاً بديلة ستكون أكثر صعوبة لبيع الدولار وشرائه. وذلك من شأنه أن يتسبّب بندرة الدولار أكثر ويُصعّب الوصول إليه. وبالتالي، فإنّ ذلك سيؤدي إلى ارتفاع جنوني للدولار على اعتبار أنّ الاقتصاد مدولر ولا يمكن لأيّ مستورد أن يُكمل عمله من دون الحصول على الدولار.

وسط الأخذ والردّ، يُستذكر دور القضاء الذي يتحرّك وفقاً لإيقاع الشارع وضغط الإعلام. حتى إنّه يتّخذ قرارات بعلم مسبقاً أنّها لن تؤدي إلى شيء، لكنه يرى أنّه مضطرّ إلى اتخاذها للإيحاء للرأي العام بأنّه حاضرٌ ليقوم بواجبه. وهنا يحضر دور المدعي العام المالي القاضي علي إبراهيم. جميع الملفات التي فُتحت لم تؤدِّ إلى أي نتيجة، بل على العكس. بدأت الحكاية مع استدعاء رؤساء مجالس إدارة عدد من المصارف. استبشر اللبنانيون خيراً، لكنّ شيئاً لم يحصل. استُكملت المسرحية بملف تهريب الدولارات إلى الخارج. أوقف مدير العمليات النقدية في مصرف لبنان مازن حمدان الذي اتُّهم بالتلاعب بالعملة جراء عمليات بيع وشراء الدولار مع الصرّافين. كما أوقف مدير الخزانة في مصرف سوسيتيه جنرال كريم الخوري بتُهمة شراء الدولار لشحنه إلى الخارج، إلا أنّ قاضي التحقيق شربل أبو سمرا أصدر قراره بمنع المحاكمة عنهما. وبصرف النظر عن تورطهما من عدمه، كان لافتاً أنّ شقيقة القاضي أبو سمرا، الذي أصدر القرار، تعمل مديرة في مصرف سوسيتيه جنرال المتهم بشحن الدولارات إلى الخارج. كما أنّ رئيس مجلس إدارة المصرف أنطون صحناوي هو الداعم الرئيسي لصهر القاضي، العميد جان طالوزيان الذي فاز بالانتخابات النيابية عام 2018 عن أحد مقاعد الأشرفية. ورغم ذلك، لم يستشعر القاضي الحرج، وأصدر قراراً بمنع المحاكمة. غير أنّ جديد القضية أنّ النائبة العامة الاستئنافية في جبل لبنان القاضية غادة عون استدعت مدير العمليات النقدية في المصرف المركزي مازن حمدان للاستماع إلى إفادته مجدداً بعد غد الاثنين، لكن بصفة شاهد. وعلمت «الأخبار» أنّ الاستدعاء مرتبط بالتحقيق في عمليات تبييض أموال المسرحية الثالثة تمثّلت بالتحقيق مع حاكم المصرف المركزي رياض سلامة، إذ إن القاضي إبراهيم يتولى التحقيق بجرم التلاعب بالعملة الوطنية ورفع سعر صرف الدولار، فيما يشغل منصب عضو هيئة التحقيق الخاصة لمكافحة تبييض الأموال، التي يرأسها حاكم مصرف لبنان رياض سلامة الذي يرد اسمه في التحقيقات، على أنه أعطى الأوامر لمدير العمليات النقدية في المصرف المركزي، لشراء الدولار وبيعه للصرّافين؟ أما المسرحية الرابعة، فهي الدائرة حالياً، لجهة فتح ملف الصرّافين.

مشكلة سعر صرف الدولار مركّبة، ولا يمكن حلّها بقرار أمني. سبق لدول عديدة (إيران وتركيا، مثلاً) أن حاولت لجم انهيار عملتها بالأمن والقضاء، لكن ذلك لم يُجدِ نفعاً. فما يراه خبراء اقتصاديون ومصرفيون وعاملون في سوق الصرافة، أن القرار، بالدرجة الأولى، سياسيّ بمعنيَين: الأول أن ترك سعر الصرف حراً في السوق السوداء هو نتيجة لسياسة رسمية اعتُمدت من المسؤول الأول عن «سلامة النقد الوطني»، حاكم مصرف لبنان رياض سلامة، الذي حدّد أسعاراً متعددة للدولار، وترك السوق السوداء لما يسمّيه العرض والطلب. أما المعنى الثاني، فمرتبط بالخلافات السياسية التي تحول دون تأليف حكومة، ودون وضع خطة واضحة للخروج من حالة الانهيار الشامل التي تخيّم على لبنان منذ صيف عام 2019. ومن دون قرار على المستوى السياسي، سيبقى سعر الدولار بلا سقف!

في الواجهة

مَن يُخرِج تأليف الحكومة من فم الذئب؟

لان الشائع الآن أن الهاتف لن يرنّ في قصر بعبدا ولا في بيت الوسط. والشائع أيضاً أن كلا رئيس الجمهورية والرئيس المكلف غير مستعجلَين على رفع السمّاعة مقدار تصليبهما في شروط لا يتزحزحان عنها، يرقد تأليف الحكومة في نوم طويل هانئ إلى وقت غير محدد

نقولا ناصيف

ينتظر رئيس الجمهورية ميشال عون مكالمة الرئيس المكلف سعد الحريري يطلب موعداً لزيارته، ما يفترض أنه يحمل إليه ما يتجاوز تشكيلة 23 كانون الأول الفائت ويوافق على شروطه. بدوره الرئيس المكلف ينتظر مكالمة رئيس الجمهورية يدعوه إلى الاجتماع به لإبلاغه عن تراجعه عن شروطه وتسليمه بالتشكيلة تلك. بإزائهما، لم يسَع الفرنسيون والأميركيون والمصريون والروس - وهم المعلومون بتحركهم أخيراً - ولا مواقف بعض السفراء المتنقلين ما بين المسؤولين، إحراز أي تقدّم للخروج من المأزق، مُكتفين بعناوين عامة عريضة: حكومة تكنوقراط تنتشل البلاد من انهيازي الاقتصاد والنقد، مع وعود بمساعدات خارجية. وحدهم الفرنسيون مهتمون جدياً وعاجزون ومخدوعون في الوقت نفسه.

مرة أخرى عنى انسداد الحل أن القطبة المحلية لا تقلّ أهمية عن القطبة الخارجية. عن الثانية يقال إن ايران وراءها متسلّحة بنية العدد، بدليل إهمال حزب الله عقبات التأليف في انتظار الحوار الأميركي - الإيراني. يقال إن السعودية أيضاً وراءها بنية القصد ناجماً عن أن الرئيس المكلف لا يؤلف حكومة، أياً تكن، ما لم يحظ سلفاً بموافقة الرياض عليها بعد فتح أبواب عودته إليها. الموقفان الإيراني والسعودي المعلنان سوى السنّة الأربعة ويقصر عليه تمثيله طائفته، أعطى الثنائي الشيعي حق تسمية وزرائه الأربعة، منح وليد جنبلاط الوزير الدرزي الوحيد رافضاً توسيع الحكومة إلى أكثر من 18 وزيراً كي يحصر به تمثيل طائفته. أضف تمسكه بحقيبتَي الداخلية والعدل، بعدما كان أبدى تساهلاً حيالهما في أحاديث سابقة مع الرئيس قبل اجتماع 23 كانون الأول.

لم تكن هاتان الدولتان الإقليميتان كذلك في مطلع الولاية، وأخفق انتخاب عون عام 2016 في أن يمثل تقاطعاً إيجابياً بين طهران والرياض. بل ما حدث عامذاك بداية الانفصال السياسي ما بين الحريري والمملكة التي عارضت تفاهماً إيرانياً - فرنسياً على انتخاب الرئيس الحالي، من غير أن تمنعه أو على الأقل تعرقله. عندما فاتحها الحريري في خياره الجديد، المنضم إلى خيار حزب الله في انتخاب عون، رفضته وتركته لقدره، كي تبدأ مذذاك مرحلة القصاص: أولى محطاتها التخلّي عن الوقوف إلى جانبه في حكومته الأولى. تلتها ثانيتها بعد سنة في تشرين الثاني 2017 يوم احتجازه هناك ومعاقبته بسوء معاملته - نفسياً وجسدياً كما قيل - وإرغامه على الاستقالة. ثم ثالثتها وضع اليد على عقاراته وأملاكه وشركاته وتجريده من كل ما يملك لديها، كان صنعه والده الراحل على مرّ عقود، ما خلا جنسيته السعودية. أما رابعة محطات القصاص فلا تزال متواصلة، وهي رفض استقباله في المملكة بالصفة التي يمثّلها الآن ويجول بها على دول أخرى. الواقع أن الرجل لا يزور البلاد التي يحمل جنسيتها بصفته مواطنها حتى. إلا أنها استقبلت عون على أراضيها كرئيس للبنان في أول زيارة رسمية له إلى الخارج في كانون الثاني 2017.

مضى شهر على الاجتماع الخامس عشر بين عون والحريري في 12 شباط، واخفقا في تفاهمهما بعد قطيعة 50 يوماً على اجتماع 23 كانون الأول. مذذاك المعادلة القائمة، المجمّدة للتأليف، لا تزال إياها: يصرّ الحريري على حصوله على الوزراء السنّة الأربعة ويقصر عليه تمثيله طائفته، أعطى الثنائي الشيعي حق تسمية وزرائه الأربعة، منح وليد جنبلاط الوزير الدرزي الوحيد رافضاً توسيع الحكومة إلى أكثر من 18 وزيراً كي يحصر به تمثيل طائفته. أضف تمسكه بحقيبتَي الداخلية والعدل، بعدما كان أبدى تساهلاً حيالهما في أحاديث سابقة مع الرئيس قبل اجتماع 23 كانون الأول.

في حجة الرئيس المكلف أن إقصاء الكتل والأحزاب المسيحية عن المشاركة في الحكومة كالتيار الوطني الحر، ومقاطعة أخرى لها كحزبَي القوات اللبنانية والكتائب، لا يفضي بالضرورة إلى حصول رئيس الجمهورية على الحصة المسيحية كاملة. لذا اقترح حقيبتين لرئيس تيار المردة سليمان فرنجية مع أن كتلته لا تمثّل سوى أربعة نواب مسيحيين (زغرتاويان وكسرواني وكوراني)، ناهيك بوزير للحزب السوري القومي الاجتماعي ووزير لحزب الطاشناق ووزير للحريري بالذات، ما يحيل حصة رئيس الجمهورية من المقاعد المسيحية ما تبقى منها: أربعة وزراء. نجاح الحريري في الحصول على حكومة بمواصفات وأحجام وتوازن كهذا من شأنه، في حسبانه، توجيه رسالة إيجابية إلى المملكة يُفترض أنها ترضيها كي تفك الحجر السياسي عنه الذي يتطلبه ويحتاج إليه أكثر من أي وقت مضى. مفاد حجته أن رئيس الجمهورية، بعدم حصوله على نصاب موصوف، يصبح صفراً سياسياً ويفقد سيطرته على حكومته.

> حزب الله لا يتخلى عن الرئيس ونيله الثلث +1 ولا يحرضه على الحريري

حصة رئيس الجمهورية من المقاعد المسيحية ما تبقى منها: أربعة وزراء. نجاح الحريري في الحصول على حكومة بمواصفات وأحجام وتوازن كهذا من شأنه، في حسبانه، توجيه رسالة إيجابية إلى المملكة يُفترض أنها ترضيها كي تفك الحجر السياسي عنه الذي يتطلبه ويحتاج إليه أكثر من أي وقت مضى. مفاد حجته أن رئيس الجمهورية، بعدم حصوله على نصاب موصوف، يصبح صفراً سياسياً ويفقد سيطرته على حكومته.

جواب الرئيس غير المتبدّل منذ الاجتماع الخامس عشر، إصراره على ستة وزراء زائداً الوزير الأرمني (الثلث+1)، مع قبوله بترشيحه أسماء لحقيبة الداخلية يختار من بينها الرئيس المكلف. وكانا توافقا على هذه الصيغة في الجلسات الأولى في ما بينهما، قبل أن يطلب الحريري حقيبتَي الداخلية والعدل لنفسه - وكان الرئيس طلبهما له أولاً - على أن لا يشاركه عون في الاقتراح أو التسمية، مذ تسلّم مسودة 23 كانون الأول التي رفضها بكليتها، أضاف الرئيس شرطاً جديداً هو حكومة من 20 وزيراً تكسر أحادية التمثيل الدرزي. لا يزال يصرّ على فصل الثلث +1 الذي يريده عن وزيري حزب الله، اعتقاداً منه - ويجاريه الحزب في وجهة النظر هذه - بأن حليفه قد تربكه بعض الاستحقاقات ولا يسعه مجاراة الرئيس فيها داخل مجلس الوزراء، وتفاديه كذلك أيّ ارتدادات شيعية - شيعية، أو شيعية - سنّية، أو شيعية - درزية.

مال ذلك أن حزب الله، دونما تخلّيه عن رئيس الجمهورية، يتمسّك بالحياد في النزاع الناشب بينه وبين خصومه. أما هامش دعم عون فأوسع ممّا يُظن: ليس في وارد الضغط عليه لحمله على التنازل عن مطالبه، ولا في وارد تحريضه على الحريري. تفهّم الأمين العام للحزب السيد حسن نصر الله موقف الرئيس بمطالبته بـ20 وزيراً لتمثيل حليفهما الدرزي طلال ارسلان. ومع أنه لم يشاطره رأيه تماماً في الثلث+1، إلا أن تأييده حكومة من 20 وزيراً تجعل الثلث +1 مضموناً بوزير درزي ثان، لا بوزير مسيحي يريده الرئيس في حزب الطاشناق، مضافاً إلى حصته هو من الوزراء المسيحيين.

تلك هي المعادلة المتوازنة القائمة حتى إشعار آخر، المجمّدة تأليف الحكومة. وهو سيظل في رقاد طويل إلى أن يرن هاتف ما.

يشي ذلك أن كلا الرئيسَين، ومن وراء كلّ منهما حلفاؤه، يخوضان معركة أيهما يُخرج التأليف من فم الذئب. في ظنّ كلّ منهما أن الآخر هو الذئب.

مجموعات 17 تشرين إلى الشارع: حكومة انتقالية

(هيثم الموسوي)

«إلى الشارع... نحو حكومة انتقالية»، عادت مجموعات من انتفاضة «17 تشرين»، في مسيرة انطلقت أمس من أمام وزارة الداخلية والبلديات، مروراً بمصرف لبنان، ثمّ أمام جمعية المصارف، قبل أن تصل في المحطة الأخيرة إلى مجلس النواب. أراد المشاركون عبر هذه الخطوة إعادة «تصويب» الحراك، بعد أن سيطرت على المشهد في الأيام الماضية الأحزاب السياسية الموالية للنظام، ومحسوبون على قيادة الجيش، فأقفلت الطرقات. أمّا هدف المجموعات التي تظاهرت أمس، فـ«مُختلف»، يتعلّق ببناء بديل عن النظام الحالي. رفعوا الصوت «ما الطائفية... ما الطبقية... ما العنصرية»، مُندّدين بـ«حُكم الأزعر» و«حُكم العسكر». رفعوا شعاراتهم ضدّ سياسات مصرف لبنان، و«الأحزاب الطائفية».

مجموعات عدّة ومن مختلف المناطق دعت إلى التظاهرة أمس، ليصدر عنها بيانٌ حذّرت فيه من الانهيار الشامل التي تخيّم على لبنان منذ صيف عام 2019. ومن دون قرار على المستوى السياسي، سيبقى سعر الدولار بلا سقف!

خارج منظومة النهب والفساد، التدقيق الجنائي وتسريع التحقيقات في جريمة المرفأ وشمولها كبار المسؤولين، استعادة الأموال المنهوبة والمُهرّبة ومحاكمة رياض سلامة لإخلاله بواجباته في حماية العملة الوطنية بمُقتضى قانون النقد والتسليف ومحاكمة المصارف لسوء أمانتها تجاه المودعين، إقرار سلّة التشريعات الإصلاحية وفي طليعتها القوانين الضامنة لاستقلالية القضاء ورفع الحصانات، تأمين الحماية الاجتماعية الفورية للفقراء والمحتاجين، وإسقاط المنظومة الفاسدة واستنقاذ مستقبل اللبنانيين».

(الأخبار)

كورونا

الجدل الكوروني: لقاح استرازينيكا على لائحة الانتظار؟

(هيثم الموسوي)

على وقع تعليق سبع دول أوروبية استخدام لقاح استرازينيكا، يستقبل لبنان بعد غدٍ الاثنين أول دفعة منه، والمقدرة بحوالى 92 ألف جرعة. وما بين هذه الشكوك وحاجة البلاد إلى اللقاحات في هذه الظروف الدقيقة، تختار اللجنة الوطنية لإدارة ملف اللقاحات في لبنان التريث في استخدام اللقاح إلى حين صدور تقارير طبية عالمية تنفي العلاقة المحتملة بين تلقّي جرعات استرازينيكا وحدوث تجلطات في الدم أو تؤكدها. ويأتي ذلك برغم صدور بيان عن منظمة الصحة العالمية يؤكد فيه أن لا سبب يدعو للتوقّف عن استخدام اللقاح. وفي هذا السياق، اعتبر رئيس اللجنة، الدكتور عبد الرحمن البزري، أن هناك ضرورة «لمراقبة المعلومات الواردة عن اللقاح وتتبعها بدقة»، لافتاً إلى أن هذا «أمر أساسي وفي سلّم أولوياتنا». مع ذلك، لا تأخذ المواقف مداها، إذ تأخذ اللجنة في الحسبان توصية منظمة الصحة العالمية به من جهة وإعطاء ملايين الجرعات منه في عدد من الدول الأوروبية كما العربية. وهي أسباب استند إليها وزير الصحة العامة، حمد حسن، مشيراً إلى أن الوزارة «تتفهم بعض الإجراءات التي اتخذت في بعض الدول، وهي مرتبطة بسبب معين جار البحث عنه، ولكن منظمة الصحة العالمية

> وصل العدد التراكمي للجرعة الاولى من اللقاح إلى اكثر من 90 ألفاً

ودول أوروبية كألمانيا وفرنسا أكدت أن استخدام لقاح استرازينيكا أفضل بكثير من عدمه، خصوصاً للفئات العمرية المحددة تحت الـ65 سنة». مع ذلك، القرار المتّخذ هو «انتظار ما ستؤول إليه الأمور كي نبني على الشيء مقتضاه»، خصوصاً في ظل الحديث عن دفعة ثانية من اللقاح، بحدود 125 ألف جرعة، ستصل إلى لبنان قريباً.

وبانتظار أن يُحسم الجدل حول استرازينيكا، تأتي اليوم الدفعة الخامسة من لقاح فايزر والتي تقدر بحدود 32 ألف جرعة. وقد وصل العدد التراكمي للجرعة الأولى حتى يوم أمس إلى 90 ألفاً و287، و12982 للجرعة الثانية. مع ذلك، لا يعني هذا المسار أن عملية التلقيح تسير بالسرعة المطلوبة، خصوصاً في ظل البطء في وصول الجرعات التي لا تزال تأتي من جهة واحدة هي فايزر، وفي ظل التعليق المؤقت لاسترازينيكا. ما يعني أن البلاد لا تزال هي الأخرى مفتوحة على احتمالات الدخول في موجة أخرى من الفيروس، خصوصاً في ظل بدء موجة ثالثة في بعض الدول لا سيما إيطاليا وألمانيا، والتخوف من امتدادها كما الموجات السابقة.

وفي هذا السياق، يعتبر رئيس لجنة الصحة النيابية، الدكتور عاصم عراجي، أن هذا الاحتمال وارد، انطلاقاً من أن الواقع في البلاد اليوم «ليس سليماً ولا جيداً». وهذا إن حصل، فبحسب عراجي، «ليس من السهل احتماله، إذ لا أمكنة في المستشفيات، وخصوصاً في غرف العناية الفائقة». وهو ما أعاد تأكيده حسن، عقب الاجتماع الذي عقدته أمس اللجنة الوزارية لمتابعة وباء كورونا، حيث أعلن أنه في بعض المحافظات «وصل عدد أسرّة العناية الفائقة الجاهزة لاستقبال المرضى إلى صفر»! وهذا ما أدى إلى بدء مرحلة جديدة من المواجهة عمادها تحويل مصابين من البقاع وبعلبك الهرمل وعكار إلى مستشفيات بيروت وجبل لبنان «على عكس ما كان يحصل قبل الإقفال».

إلى ذلك، لا تزال المؤشرات الرئيسية لمسار الفيروس تضع البلاد في دائرة الخطر، وليس أقلها عداد الوفيات الذي لا يزال عند مستويات خطرة، بحسب عراجي، حيث سجل أمس 48 ضحية ليرتفع معها العدد الإجمالي إلى 5278. ومن المؤشرات السلبية الأخرى، هناك مؤشر عداد حالات الاستشفاء التي كانت أمس بحدود 2361، منها 951 حالة في العناية الفائقة (295 حالة مع تنفس اصطناعي).

يذكر أن وزارة الصحة العامة عقدت ورشة عمل للتدرب على إعطاء لقاحات استرازينيكا، وقد لفت حسن إلى أنه سيكون «هناك 32 مركزاً معتمداً للقاح».

(الأخبار)

تقرير

الدكاكين الجامعية تنتصر في معركة إصلاح التعليم العالي؟

فاتن الحاج

في خطوة مفاجئة، استبق وزير التربية في حكومة تصريف الأعمال، طارق المجذوب، انتهاء ولاية مجلس التعليم العالي (بعد ثمانية أشهر ونصف شهر)، وفتح باكراً باب الترشيح لمركز خبير في المجلس. وحدّد مهلة لإيداع الطلبات لدى المديرية الإدارية المشتركة، بدأت الاثنين الماضي وتنتهي الاثنين المقبل، أي أنها عملياً لا تتجاوز 5 أيام، إذا ما احتسبنا يومي العطلة. ومعلوم أن تعيين خبيرين في المجلس هو من صلاحية الوزير وفق البند 3 من المادة 14 من قانون تنظيم التعليم العالي، فيما يشترط البند 5 أن يكونا من المشهود لهما بالخبرة الأكاديمية والإدارية في حقل التعليم العالي لمدة لا تقلّ عن 20 عاماً، وغير مرتبطين بأيّ من مؤسسات التعليم العالي العاملة في لبنان، ويمكن أن يكونا من المتقاعدين من مؤسسات التعليم العالي الرسمي والخاص.

أعضاء في المجلس استغربوا الإعلان الذي علموا به بالصدفة، إذ أن العرف يقضي بتوجيه الدعوة للترشيح قبل شهرين من نهاية الولاية، على أن يجري التعيين خلال شهر بعد انتهائها. ولا يمكن إجراء أي تعيين جديد إذا لم يكن العضوان الحاليان قد قدما استقالتيهما أو تخلّفا عن حضور الجلسات. وفي ما عدا ذلك، يكون التعيين مخالفاً للقانون، علماً أنه يجب أن يترافق مع انتخاب ممثلي الجامعات في المجلس.

مصادر مطّلعة قالت لـ«الأخبار» إن المجلس شهد «تعطيلاً تاماً» بعدم السماح له بالاجتماع طوال أكثر

> توجّس من خضوع الوزير لابتزاز الجامعات الخاصة - الدكاكين

من سنة، وهو لم يجتمع سوى 5 مرات خلال ولاية المجذوب الذي «لم يعرف خير المجلس من شره». كما أنه لم يقُم، عملياً، بدوره الأساس في الرقابة على الجامعات، سوى 3 أشهر فقط من أصل 3 سنوات (مدة ولايته)، وتحديداً في ولاية الوزير السابق أكرم شهيب، عندما شُكّلت لجان فرعية نفّذت زيارات ميدانية للفروع وأعدّت تقارير مفصّلة بشأن نقاط القوة والضعف في كل من هذه الجامعات ورفعتها إلى المجلس لأخذ القرارات بشأنها.

ورغم أن الإعلان عن تقديم الترشيحات من دون حصول التعيين لا يرتب أي نتائج قانونية، بحسب مصادر قضائية في مجلس شورى الدولة، إلّا أن مصادر في مجلس التعليم العالي أبدت توجّسها من توقيت الإعلان، وسألت ما إذا كانت هناك «نية لتغيير الخبيرين الحاليين المشهود لهما بالكفاءة، استجابة لضغط من الجامعات الخاصة - الدكاكين من أجل تمرير ملفاتها المخالفة للقانون، خصوصاً أن الدعوة السريعة وشبه السرية توحي بأنه يجري تجهيز أسماء بديلة للخبيرين الحاليين».

«الأخبار» حاولت التواصل مع المجذوب أكثر من مرة للوقوف على حيثيات الإعلان وما إذا كانت لديه نية فعلية بالتعيين قبل انتهاء ولاية المجلس، ولم توفّق في الحصول على أيّ جواب.

قضية

رغم الظروف الصعبة وحال الانهيار التي يمر بها لبنان، على كل الصعد، لا يزال بعض «المجتمع المدني» ناشطاً في مواكبة سياسات قطاع النفط والغاز، ولكن على خلفية الدعم للسياسات الفاسدة لا نقدها

«تحالف» مدنيّ لحوكمة النفط والغاز
عندما تدعم منظمات «الشفافية» سياسات فاسدة!

حبيب معلوف

أُعلن في بيروت، في 27 الشهر الماضي، تأسيس «تحالف حوكمة الطاقة في لبنان» الذي يضم عدداً من المنظمات غير الحكومية. وهو تحالف يهدف، بحسب منسّقه جوليان كورسون، إلى «دعم السياسة العامة لقطاع النفط والغاز في لبنان، ويدعو إلى تعزيز الحوكمة وتحسين الشفافية والمساءلة في قطاع الطاقة عموماً، والنفط والغاز خصوصاً، وتحقيق التنمية المستدامة للأجيال المقبلة عبر تمكين القدرات التنظيمية للمجتمعات المدنية اللبنانية وتطويرها».

ثلاثة مرتكزات أساسية وغاية في الغرابة قام عليها هذا «التحالف». فهو أولاً، كما حدّد هويته، «داعم» للسياسات العامة لقطاع الطاقة وليس معارضاً. وهمّه الأساس، ثانياً، الشفافية لا أصل المشكلة. وهدفه، ثالثاً، «تحقيق التنمية المستدامة للأجيال المقبلة»، مع أن الاستثمارات، موضوع «التحالف»، هي في مواد غير متجدّدة ولا مستدامة كالنفط والغاز!

في المؤتمر الصحافي الافتراضي نفسه الذي أعلنت فيه ولادة «التحالف»، أعلن أيضاً انضمامه إلى تحالف «انشر ما تدفع» العالمي، بما «يوفّره صدقية أكبر وحماية أعضائه ودعمهم، ويفسح المجال للمشاركة في المنتديات والنشاطات الإقليمية والدولية». وتموّل الوكالة النروجية للتعاون الإنمائي (NORAD) مشروع «انشر ما تدفع» لثلاث سنوات. وبحسب أهداف هذا التحالف الدولي، يتبين أن المقصود من شعار «انشر ما تدفع»، هو أن «تنشر الشركات العاملة في الصناعة الاستخراجية ما تدفعه للبلدان التي تعمل فيها»، أي إلزام الشركات بنشر كل المعلومات والأرقام المتعلقة بالقطاع بشفافية. وإذ يبدو الهدف نبيلاً في الشكل، إلا أنه يعاني من نواقص قاتلة، ليس فقط لأنه إسقاط لتجارب لا تمتّ إلى الحالة اللبنانية بصلة، بل أيضاً لأنه لا يتوجّه إلى صلب المشاكل التي تعاني منها الدول الضعيفة (كلبنان)، والتي تستنبيح بيئتها وحقوق شعوبها شركات مستثمرة عملاقة تملك قدرات أكبر بكثير من قدرات الدول نفسها، فكيف الحال مع منظمات صغيرة داخل هذه الدول؟ وفي حالة لبنان، ما الذي تستطيع فعله منظمات مدنية صغيرة إذ كان هدفها «دعم» سياسات فاشلة في دولة فاسدة ومنهارة، كانت هذه «السياسات» أحد أهم أسباب انهيارها؟

إذا كان «التحالف» اللبناني يعرّف عن نفسه بأنه «داعم للسياسات في موضوع الطاقة» فهذا يعني أنه داعم لخيار فاشل في تأمين الطاقة ولخيار التنقيب عن النفط والغاز ولمنظومة التشريعات التي وضعتها الشركات لمصلحتها أولاً، وسلّمت بها الدولة الفاسدة والعاجزة، ولم يكن ينقصها سوى هذه التغطية السطحية من مجموعة من المنظمات غير الحكومية! وكيف تسمح هذه المجموعات الصغيرة من المنظمات - الأفراد لنفسها بادّعاء «توعية» المجتمع على حقوقه، فيما هي نفسها تحتاج إلى من «يوعّيها» على مخاطر سياسات الإدارة الرسمية لهذا القطاع، ولا سيما آثار خيار التنقيب عن النفط والغاز وانعكاساته غير المدروسة على الاقتصاد والبيئة والمجتمعات؟ وإذا كان «التحالف» يهدف إلى متابعة الملف بغضّ النظر عن السلطة التي تديره، فلماذا البدء من شفافية العقود وليس من صحة الخيار ومخاطره؟ ووفق أي أجندة تعمل هذه المجموعات التي لم تلاحظ أن كل ما من حولها ينهار بسبب

> تغطية سطحية من مجموعة من المنظمات غير الحكومية لسياسات فاشلة

فقدان الثقة وبسبب طبقة سياسية لا تؤتمن على قن دجاج وليس على قطاع ضخم كالنفط والغاز؟

إلى ذلك، على أي أساس تمّ اختيار هذه المنظمات التي ليست كلها معنيّة بهذا القطاع؟ ولماذا استبعدت مجموعات أخرى لديها تحفّظاتها عن هذا الموضوع في الأساس، وكانت أول من حذّر من المخاطر، ودعا الدولة إلى وضع استراتيجية شاملة للتنمية المستدامة تكون استراتيجية الطاقة جزءاً منها؟. إلا أن الدولة تجاهلت كل ذلك ولبّت شروط الشركات الطامحة التي تكفّلت بوضع الدراسات والقوانين وتدجين سياسيين وتأسيس جمعيات مدنية ملائمة وتدريب إعلاميين للمواكبة... مع كل ما يلزم لعقد الصفقات وتسهيل مرورها، بعدما ضمنت أنها ستنال حصة الأسد ولن تترك لنا غير التلوّث وتخريب كل القطاعات غير النفطية؟

الهدف «المركزي» لهذا التحالف هو «الشفافية» وكشف المعلومات. فما الإفادة من معلومات ستقدمها الشركات نفسها وليس أية جهة حكومية، بحسب القوانين التي وضعتها الشركات نفسها؟ وهل يبقى من معنى للشفافية في هذه الحالة؟

دخلت «الشفافية» كل القطاعات تقريباً، ولا سيما في السياسة والاقتصاد، كمفهوم «سحري» يؤكد على زيادة الديمقراطية والحرية، ولا سيما حرية تداول المعلومات. وادّعى مطلقو هذا المفهوم أن الهدف هو الحصول على الثقة وتعزيزها، حتى أصبح بمثابة «عقيدة» جديدة تجاوزت عقيدة التنمية بكل مندرجاتها في القرن الماضي. لا بل اعتبرها البعض أيقونة المجتمعات التي فُقدت فيها الثقة بين الناس والحكام. إلا أنها، في حالتنا، لن تكون إلا طريقاً إلى إحكام السيطرة على المجتمع ومقدّراته الطبيعية. فالمجتمع الشفّاف كالزجاج، تسهل مراقبته والتحكم به عندما تضمحل الدولة، كما يحصل عندنا. وبهذا المعنى، تتحول الشفافية إلى أيديولوجية للسيطرة. كما أن اختصار الشفافية بحرية الوصول إلى المعلومات والتداول بها لا يمتّ بشيء إلى زيادة الثقة واليقين. فكثرة المعلومات والأرقام لا تنتج معرفة، لا بل يمكن أن تطمس المعرفة حتى لو لم تكن معطياتها وبياناتها متناقضة. كما أن كثرة المعلومات لا تنتج بالضرورة قرارات أفضل، طالما أن من ينتج هذه المعلومات وينشرها هو نفسه، فيما ليس لدى الدول أو المنظمات المدنية الصغيرة القدرة على تحليلها وتقييمها، هذا في حال افترضنا دقّتها. والتجارب حول سلوك الشركات الكبرى التي تعمل في البلدان الصغرى كثيرة، ولا نظن أن «التحالف» العتيد اطّلع عليها كفاية، خصوصاً في البلدان التي تحولت فيها «نعمة» النفط إلى لعنة. أما في ما يتعلق باعتبار الشفافية ضرورة لبناء الثقة والتواصل، فإن «التحالف» نفسه لم يكن شفافاً، بعدما استبعده من النقاش (ومن صفوفه) الخبراء والجمعيات الذين يتحفّظون عن خيار التنقيب الاستخراج، ولا سيما في ظل حكم فاسد.

منذ لحظة ولادته، يبدو «التحالف» واضحاً في قراره اعتماد مقاربة إيجابية ليتم القبول به كمحاور أو مراقب لأعمال السلطة والشركات. ولكن هل هذا هو المدخل الصحيح لمقاربة هذا الملف؟ وهل الشفافية مفهوم مطلق لا يقبل النقاش؟ وهل المنظمات «الشفافة»، بحصر اهتمامها في حرية تدفق المعلومات وتداولها بإيجابية، تقضت القضاء على الاختلاف، ما يجعل من أعضاء «التحالف» مجرد موظفين داخل النظام الاستثماري، يبدأ عملهم مع تقاضي بدلات الأتعاب منذ لحظة الإعلان عن النفس؟ وكيف يمكن لتحالف «شفّاف» أن يكون «داعماً» لسياسات متهمة بالفساد أوصلت البلد إلى الانهيار الشامل؟ وكيف تكون مهمة «التحالف» تحقيق التنمية المستدامة وهو يشجع الاستثمار في موارد غير متجدّدة؟ ولماذا لم يبحث عن تحالفات أوسع، محلياً أو في دول حوض المتوسط، تتبادل معنا الحرص على إبقاء هذا الأبيض المتوسط، شبه المغلق، خالياً من تهديدات التلوّث الحتمية أثناء التنقيب وعمليات الاستخراج والنقل والتكرير والتخزين؟

في الخلاصة، المرحلة والظروف لا تحتاج إلى زجاج الجمعيات «الشفاف»، بل إلى زجاج غير قابل للكسر أمام ضخامة الشركات المستثمرة بأي ثمن. والأولوية لمراجعة السياسات التي وضعها جيش من الخبراء الذين يعملون لمصلحة الشركات أو كوسطاء بينها وبين مسؤولي الفساد، وفرض اعتماد استراتيجيات محافظة لتمرير هذه الظروف الصعبة، تمهيداً لإنتاج سلطة بديلة تتحمّل مسؤولية الحماية وضمان الحقوق من دون أن تكون شريكة في فساد الخيارات والاستثمارات.

انجيل بوليفاخ - المكسيك

السيرة الذاتيّة لأمين الجميّل: عندما يصبح الارتهان للخارج «مقاومة» [10]

أسعد أبو خليل *

لا يزال الحديثُ هنا عن سيرة أمين الجميّل الذاتيّة والتي صدرت حديثاً بعنوان «الرئاسة المقاومة: مذكّرات». ويعترض الجميّل على عبد الحليم خدّام لأنه لم ينجح في «إعادة المعارضة إلى بيت الطاعة» (ص. 229). لم يتغيّر أمين الجميّل رغم كلّ هذه السنوات. لا تزال أحقاده كما كانت في سنوات الرئاسة: يرفض «العنيد» أن يعترف بأنّ المعارضة اللبنانيّة العارمة ضدّ حكمه لم تكن مجرّد أداة بيد النظام السوري. هذه كانت معارضة حقيقيّة وشعبيّة وعريضة: تراوحت بين «أمل» والتقدمي في الجهة الطائفيّة إلى أحزاب يساريّة وقوميّة متنوّعة وزعامات تقليديّة إسلاميّة ومسيحيّة. ألم يقتنع الجميّل بعد أن المعارضة كانت لها أسباب وجيهة تتعلّق أولاً برفض اتفاقيّة 17 أيّار الشنيعة، كما أنها شكّلت تمرّداً ضدّ فرض حكم بوليسي في كلّ المناطق التي كانت خاضعة لحكمه ولحكم جيشه الفئوي الانعزالي ـ والذي كان منذ أولى المعارك في 1975 طرفاً في الحرب الأهليّة يخوضها من دون تقيّة. وسيرة ميشال عون في الحرب الأهليّة (قبل أن يصبح قائد جيش في عهد الجميّل) هي مثال: سخّر عون، الذي عمل بجانب بشير الجميّل، خبرته العسكريّة في المدفعيّة لدكّ المخيّمات والمناطق الخاضعة لسيطرة الحركة الوطنيّة والمقاومة الفلسطينيّة. وكما أن هناك اليوم من يرفض أن يرى أنّ لحزب الله أجندته الداخليّة الخاصّة به، وغير الخاضعة لتسيير من قبل النظام الإيراني، فإنّ حزب الكتائب لم يعترف يوماً أنه كانت لخصومه في لبنان أجندتهم الداخليّة الخاصة وغير المرتبطة بأجندات خارجيّة، بصرف النظر عن تحالفات الخصوم.

ويذكر الجميّل عرضاً إنشاء «مكتب ارتباط لبناني ـ إسرائيلي» في صيف 1982. والمفيت أن الجميّل يذكر ذلك عرَضاً، ومن دون أن يلاحظ أن إنشاء المكتب كان قبل بدء مفاوضات 17 أيّار. وهو من دون أن يدري يفضح تواطؤ رئاسته مع سلطات العدوّ عند فتح المكتب إذ تجده يزهو بأنه «أصرّ» على أن ينتقل المكتب من مركزه الأوّل في البيرزة إلى بلدة ضبيّة في المتن. لم يتوقّف الجميّل عند المفارقة أن يتمّ إنشاء مكتب اتّصال إسرائيلي ـ لبناني قرب انقضاض مخيّم فلسطيني لم يعُد يذكره أحد، أي مخيّم ضبيّة والذي قُتل فيه نحو ستين ضحيّة على يد ميليشيات القوّات اللبنانيّة (وبمشاركة من بشير الجميّل نفسه شهادة واحد من الناجين). لكن مجزرة مخيّم ضبيّة تثبت أن وحشية الانعزاليّين في لبنان لا تفرّق بين طائفة وطائفة، إذ أن غالبيّة سكّان مخيّم ضبيّة كانوا من المسيحيّين. والجميّل يقول إنه لم يُرد أن يكون مكتب الارتباط الإسرائيلي بقرب القصر الجمهوري، كأنّ إصدار الأوامر من المكتب إلى السلطة السياسيّة في لبنان وإلى قيادة الجيش في حينه يختلف بين مكان ومكان. هل «إصرار» الجميّل على نقل المكتب التنسيقي مع العدوّ من البيرزة إلى ضبيّة هو نموذج عن روح «المقاومة» التي اسبغها الجميّل على نفسه في عنوان الكتاب؟ ويستفيض الجميّل، بوقاحة، في سرد منافع مكتب إسرائيلي رسمي على أرض لبنان (وبرعاية رئاسة الجمهوريّة) ويقول إن المكتب شكّل «إطاراً مفيداً لمعالجة القضايا العادية المتعلّقة بوجود جيش احتلال أجنبي على أرضنا». هذه هي نظريّات حزب الكتائب في التعامل مع جيش احتلال أجنبي: أن تقوم السلطة القائمة بتشريع إقامة مكتب تنسيق وخيانة بين رئاسة الجمهوريّة وبين جيش الاحتلال الإسرائيلي. لا، ويقول الجميّل عن منافع إنشاء المكتب أنه شمل «لمّ شمل العائلات، وإدارة تنقّل الأشخاص والسلع بين المناطق اللبنانيّة». (ص. 229). هذا عن جيش احتلال كان يخطف في أنحاء لبنان ويقتل. يريد الجميّل أن ينسب إلى جيش الاحتلال فضيلة لم شمل عائلات لبنانيّة، إلّا إذا قصد بـ«لمّ الشمل» قتل أفراد عائلة ودفنهم سويّةً. وأي تنقّل للبضائع عمل جيش الاحتلال عليه وهو الذي كان يمنع القوت عن بيروت الغربيّة؟ ولا يذكر الجميّل مهام أخرى للمكتب، ألا وهي إصدار الأوامر والتعليمات للقيادة السياسية والعسكريّة وتبادل المعلومات حول المقاومة اللبنانيّة والفلسطينيّة والتنسيق في عمليّة مطاردة الوطنيّين ممن رفضوا القبول بالاحتلال ونتائجه.

ولا يزال الجميّل ـ «المقاوم» كي لا ننسى ـ حانقاً من إغلاق المكتب. لعلّه يعتبر ذلك من إنجازات عهده النادرة. ويزعم أن النظام السوري كان يطالب بإغلاقه كأنه لم يكن هناك لبنانيّون رافضون لوجود المكتب من أساسه. والذي أعلن إغلاق المكتب لم يكن الجميّل بل رشيد كرامي في 26 أيّار 1984. وردّ مدير الـ«موساد» على إقفال المكتب بالتهديد: «إقفال مكتب الارتباط سيُوجِّه حتماً ضربة قاضية إلى أيّ التزام محتمل للحكومة اللبنانيّة في الجنوب، وسيلغي أي نفوذ قد تمارسه في المنطقة. إذا أقفل المكتب، فستضطرّ إسرائيل، لغياب الاتصالات المباشرة، إلى اتخاذ تدابير أحاديّة الجانب في الجنوب». وينسى الكثير من اللبنانيّين تلك الحقبة، وينسون أيضاً الحدّ الذي جاهر فيه العدوّ بالسيطرة على لبنان. والأكيد أن الذي ردع العدوّ مذّاك، هو ليس جان قهوجي أو جوزيف عون، بل المقاومة اللبنانيّة الذي علّمت العدوّ الدرس الذي لم يتعلّمه منذ عام 1948، ثم علّمته أبلغ درس في حرب تمّوز عندما حاول أن يتقدّم على أرض لبنان. ومكتب ضبيّة (والبيرزة قبل ذلك) لا يثير أي ذكريات في لبنان، ولا يثير أيّ استفظاع. هذا المكتب كان «عنجر»، قبل «عنجر»، لكنه خلافاً لـ«عنجر» امّحى عن الذاكرة السياسيّة وليس هناك من يشير له. كأنه لم يكن هناك مكتب للتنسيق والارتباط والتوفيق والتعاون بين لبنان وإسرائيل. هل جرى تحقيق في هوية السياسيّين الذين كانوا يتقاطرون إليه من أنحاء مختلفة في لبنان ويقفون على عتابه؟ وهذا المكتب هو غير مقرّ الـ«موساد» الذي تولّى بشير الجميّل تشييده خصيصاً للـ«موساد» في بيروت الشرقية في زمن الحرب. أي إن مركز الـ«موساد» كان للتنسيق غير الرسمي فيما كان مكتب الارتباط، الذي لا يزال الجميّل يشيد به، متخصّصاً في التنسيق الرسمي بين رئاسة الجمهوريّة وحكومة العدوّ. ويزعم الجميّل أن الوزراء اللبنانيّين «خصوصاً المتحدّرين من الجنوب أو الجبل» ماطلوا في موضوع إغلاق المكتب هذا. وهذا يجوز لأن حكومة الجميّل كانت تضمّ متخاذلين ومتعاونين.

وحتى عندما كان ثلاثة من أعضاء «مكتب الارتباط» الإسرائيلي يتجولون في شمال بيروت (متنكرين كسيّاح)، لا يرى الجميّل غضاضة في ذلك. وقد أسر الجنود السوريّون يومها هؤلاء الإسرائيليّين الثلاثة، لكن الجميّل يعترض على أسرهم. ويتأسف الجميل أيضاً على إغلاق المكتب «وبقول إن الإغلاق النهائي أدّى إلى إنزال العقوبة «بنا في الجنوب» ـ تكاد تظن أن حزب الكتائب والجميّل شخصيّاً حملا معاناة وعذاب أهل الجنوب. وكان جيش الاحتلال كان في حينه يختلف بين مكان ومكان. هل «إصرار» الجميّل على نقل المكتب التنسيقي مع العدوّ من البيرزة إلى ضبيّة هو نموذج عن روح «المقاومة» التي اسبغها الجميّل على نفسه في عنوان الكتاب؟ ويستفيض الجميّل، بوقاحة، في سرد منافع مكتب إسرائيلي رسمي على أرض لبنان (وبرعاية رئاسة الجمهوريّة) ويقول إن المكتب شكّل «إطاراً مفيداً لمعالجة القضايا العادية المتعلّقة بوجود جيش احتلال أجنبي على أرضنا». هذه هي نظريّات حزب الكتائب في التعامل مع جيش احتلال أجنبي: أن تقوم السلطة القائمة بتشريع إقامة مكتب تنسيق وخيانة بين رئاسة الجمهوريّة وبين جيش الاحتلال الإسرائيلي. لا، ويقول الجميّل عن منافع إنشاء المكتب أنه شمل «لمّ شمل العائلات، وإدارة تنقّل الأشخاص والسلع بين المناطق اللبنانيّة». (ص. 229). هذا عن جيش احتلال كان يخطف في أنحاء لبنان ويقتل. يريد الجميّل أن ينسب إلى جيش الاحتلال فضيلة لم شمل عائلات لبنانيّة، إلّا إذا قصد بـ«لمّ الشمل» قتل أفراد عائلة ودفنهم سويّةً. وأي تنقّل للبضائع عمل جيش الاحتلال عليه وهو الذي كان يمنع القوت عن بيروت الغربيّة؟ ولا يذكر الجميّل

> **أن تشرّع السلطة إقامة مكتب تنسيق وخيانة بين رئاسة الجمهورية وجيش الاحتلال: تلك سياسة حزب الكتائب في التعامل مع إسرائيل**

(هيثم الموسوي)

له «صديقه» ـ أي صديق الرحيّم اللبناني الجنسيّة ـ في مكتب الارتباط الإسرائيلي. وهل يحدّثنا الجميّل باستفاضة ضرورية وقانونيّة عن هذه الصداقة التي ربطت بين رئيس «الأوضاع» في القصر الجمهوري السيادي وبين عضو في مكتب الارتباط الإسرائيلي؟ أم أن هذه التفاصيل ترد في مذوّنات الجميّل الشخصيّة (والمملّة)، ولا تصلح للنشر في كتابه؟ وانسحب العدوّ من دون تنسيق. وهناك من لا يزال يتأسّف من أن العدوّ انسحب من الجبل ومن الجنوب من دون «تنسيق». وقد انسحب العدوّ من الجنوب في عام 2000 بسبب إذلاله في عمليات مقاومة لم تنته، وكان أجمل ما في هذا الانسحاب الذليل أنه تمّ من دون تنسيق. التنسيق يكون عادة لترتيب أوضاع عملاء العدوّ قبل انسحاب الجيش الذي يرعاهم. هل هذا ما يتأسّف عليه الجميّل؟ لكن الواقعة الكبرى كانت عندما أرسل له سفيره في واشنطن، عبد الله أبو حبيب، يُعلمه عن عدم رضى أميركا عن إغلاق المكتب. هذه كانت كارثة عند الرئيس السيادي الذي علّق على الخبر بالقول: «هكذا، وقع المحظور الذي كنتُ قد سعيتُ جاهداً إلى تداركه» (ص. 230). وينقل الجميّل حواراً جرى بين عبد الحليم خدّام ووليد جنبلاط في حزيران 1984 يظهر فيه عمق الموضوع الاستراتيجي والأيديولوجي الذي حكم العلاقة بين الطرفين، إذ يقول جنبلاط لخدّام: «نريد بيع السلاح الموجود عندنا. طفرنا». فيردّ خدام: «نجد لك زبوناً. ما هي العمولة؟» فيرد جنبلاط: «مقدار ما تريد. لم ندفع في الأساس ثمن السلاح». هذا كان نمط العلاقة الاستراتيجيّة. ويتبيّن في الأحاديث المنقولة في الكتاب عن عام 1984 كم أن خلق جهاز «أمن الدولة» كان لأسباب طائفيّة محضة (لمراضاة الشيعة آنذاك). ويظهر أن جنبلاط كان مؤيّداً لترشيح إميل لحود قائداً للجيش، في مقابل الأسماء الانعزاليّة التي أصرّ عليها الجميّل (تمسّك الجميّل بترشيح ميشال عون). إميل لحود هذا كان أوّل وآخر زارع عقيدة وطنيّة مقاومة للجيش والذي لم ينجح الفاسدون (مثل رفيق الحريري، المُفسد الأكبر في تاريخ الجمهوريّة) في إغرائه أو جذبه بالمال. لكن غازي كنعان زكّى ترشيح ميشال عون (تاريخ لبنان الحديث يحتاج لكتابة سيرة لغازي كنعان. وسرديّة إيلي الفرزلي عنه لا تفي الرجل الفرزلي كان شديد القرب ـ غير المتكافئ ـ منه). وإذا كان هناك من يستشهد بانبياء وقدّيسين في طلب المشورة قبل اتخاذ خطوة في الحياة، فإن أمين عندما يخلو إلى نفسه يسألها: «ماذا كان ليفعل الشيخ بيار لو كان مكاني؟» (ص. 233). ويرسم أمين صورة خياليّة لأبيه بيار فيجعل منه بطلاً في مقاومة الاستعمار الفرنسي فيما كان ذلك عبارة عن حرَك الاستعمار البريطاني أدواته في لبنان ضد فرنسا. لا، ويزعم أمين الجميّل أن بيار «تصدّى منذ 1969 للفلسطينيّين والإسرائيليّين». لكن متى تصدّى بيار للإسرائيليّين؟ هل في ذلك الاجتماع الذي حضره أرييل شارون ورواه في مذكراته عندما طفق بيار (السيادي) ينتحب وهو يستجدي المساعدة الإسرائيلية إلى درجة أن كميل شمعون الجالس بقربه لكزه وقال «ما تبكي»؟ هل كان يتصدّى للإسرائيليّين وهو يبكي أمام وزير الدفاع الإسرائيلي؟ إن تعريف حزب الكتائب للتصدّي لا يختلف عن تعريفه للسيادة أو المقاومة (كما في عنوان الكتاب). ويزعم الجميّل أن منزل العائلة كان يستضيف «أمثال صائب سلام وكمال جنبلاط ورشيد كرامي». الذي أذكره في سنوات طفولتي وصباي (أي الستينيات والسبعينيّات) أن الثلاثة ـ بما فيهم سلام ـ كانوا على خصومة مع بيار الجميّل في معظم تلك السنوات. ويشيد الجميل بنزاهة والده لكنه لا يصنّف التمويل الإسرائيلي السرّي لحزب الكتائب اللبنانيّة.

لكن الجميّل يتطرّف أكثر عندما يُسبغ على الشيخ بيار لقب «أبا الأمّة» اللبنانيّة (ص. 234). كيف يمكن أن يُسبغ أمين الجميّل على زعيم حزب طائفي عنصري فئوي لقب أبي الأمة؟ عن أي أمّة يتحدّث أمين هنا؟ هل الأمة هي أمة الكتائب؟ أم أن تعريفه للبنان منزوع الطوائف والأحزاب والأفراد الذين يختلفون مع الحزب؟ هذا الحزب لم يكن له أن ينشأ من دون غطاء من الاستعمار الفرنسي (الذي كان يحارب الشيوعيّين فيما كان أفراد الكتائب يتجوّلون في عرَاضات شبه عسكريّة) وتلقّى دعماً خارجيّاً وأوامر على كل سنواته قبل وصوله إلى رئاسة الجمهوريّة عبر الارتهان لجيش الاحتلال الإسرائيلي.

ويعترف الجميّل على مضض أن انهيار العملة والاقتصاد بدأ في عهده لكنه كعادته يتنصّل من المسؤوليّة ويرميها على غيره. يشكو من قلّة الدعم الخارجي ومن تقهقر سمعة «نظامنا المالي» (ص. 236). لكن لماذا تقهقرت هذه السمعة؟ أليس سبب الفساد المستشري في عهده؟ أليس بسبب تسخيره الدولة اللبنانيّة لصالح زعامته وتسلّط حزبه الطائفي؟ صحيح أن منظمة التحرير الفلسطينيّة سحبت أموالاً طائلة من لبنان (وهذه الأموال تعرّضت للسرقة فيما بعد من قبل شخص ائتمنه ياسر عرفات على كل مال منظمة كانت تعبّر عن تطلّعات الشعب الفلسطيني) لكن حكم الجميّل ساهم في تهجير أموال الشعب الفلسطيني. لقد مارس حكم الكتائب (قبل الانتفاضة عليه في عام 1984) أبشع أنواع العنصريّة ضد كل أفراد الشعب الفلسطيني ما دفع بالكثيرين منهم إلى ترك لبنان. ومرة استقبل الجميّل في القصر الجمهور مدير «البنك العربي» بعد أن تعرّض للمهانة من قبل عناصر للجيش اللبناني، كانت إهانة الشعب الفلسطيني عادة يوميّة في حكم الجميّل. يريد الجميّل أن يضع الشعب الفلسطيني ثروته في مصارف لبنان فيما كان جيش الجميّل وعناصره الأمنيّة يُمعنون في إهانة كل فرد فلسطيني. أما لوم الفساد اللبناني أو لوم ميزانيّة الجيش الضخمة فهذا عند الجميّل من «السخف أيضاً». يسوّغ قضيّة تسليح الجيش في زمن افتقار الدولة إلى موارد بالقول إن التسليح هذا كان «بأقساط طويلة الأجل» (ص. 237) ـ أي أن تحميل أجيال قادمة أعباء نفقات حروب الجميّل الداخليّة لا يزعج الجميّل. (هناك من روى لي نقلاً عن شهادة لكريم بقرادوني أن السفارة الأميركيّة كانت تقدّم للجميّل فواتير عن حمم القذائف التي كانت البوارج الحربيّة الأميركيّة تطلقها ضد خصوم الجميّل في الضاحية والجبل).

ويظهر من نشر محاضر (حسب الجميّل) لاجتماعاته مع حافظ الأسد كم كان الجميّل يهابه. يظنّ القارئ أننا أمام جلسة بين معلّم وتلميذ. لكن الجميّل لم يذهب إلى دمشق إلا بعد أن خسر بالكامل رهانه السابق على الخيار الأميركي ـ الإسرائيلي. لم يبقَ عنده إلا الانصياع إلى الخيار السوري، ما أضعف موقعه التفاوضي ووضعه رهينة لمعارضيه اللبنانيّين (المتحالفين مع النظام السوري). والجميّل لم يتفاوض مع النظام السوري في أوّل عهده عندما كان يحظى ببعض الدعم الشعبي والدولي، بل انتظر حتى خسارته كل أوراقه. ويسخر الجميّل من المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي عندما يقول عنها إنها ليست إلا حليفة النظام السوري «تحت مسمّى المقاومة». الجميّل، الرئيس المقاوم، يصنّف ويخوّن المقاومين الحقيقيّين لا المزيّفين. يضع الجميّل المقاومة تحت خانة «توتير» الجنوب لخدمة مصالح النظام السوري، كأن الذين ضحّوا بحياتهم ورزقهم في مقاومة إسرائيل فعلوا ذلك خدمة لجهة خارجيّة، سوريا أو إيران. والاستعانة بطرف خارجي من قبل أي مقاومة لا ينزع عنها صفة المقاومة. وهل هناك من مقاومة لم تستعن بطرف خارجي؟ إن حرب استقلال البيض (الميسورين) ضد الاستعمار البريطاني في أميركا اعتمدت على دعم فرنسي لا تزال الجمهوريّة هنا تحفظ جميله. الجميّل يذهب أبعد من ذلك ويتهم المقاومة اللبنانيّة في الجنوب (على اختلافها آنذاك، يساريّة وقوميّة وإسلاميّة) بأنها كانت «تقاتل بالنيابة» عن حافظ الأسد. هذه الإهانة لشهداء من الجنوب تصبّ في خانة السرديّة الإسرائيليّة عن المقاومة الحقيقيّة، والتي يعتنقها الجميل بحذافيرها. واليوم، الجميل وحلفاؤه يتهمون الذين يقاومون إسرائيل بأنهم يقاتلون بالنيابة عن إيران، وفي زمن الاتحاد السوفياتي كانوا يقولون إن اليسار اللبناني يقاتل بالنيابة عن الشيوعيّة العالميّة ـ هذا كان خطاب بيار الجميّل عشيّة الحرب. يتعنّت الحزب في طائفيّته وترّمته الفاشي: الآخر هو خائن، والوطني هو الانعزالي فقط. ويأخذ على حافظ الأسد أنه لم يرد «عرقلة المقاومة في الجنوب». أي أن الجميّل يعترف وبصريح العبارة أن عرقلة المقاومة كانت في صلب أجندته. وكان يريد توكيل الجيش اللبناني (تماماً كما الأجندة الأميركيّة اليوم) تولّي عمليّة عرقلة عمل المقاومة لصالح إسرائيل وأميركا. وكان الجميّل يرد استخدام الجيش من أجل الحصول على رضى جيش الاحتلال الإسرائيلي وذلك للقيام بمهام إسرائيل من ناحية منع أعمال مقاومة ضد الاحتلال. وهذا تماماً كان الدور الذي أوكلته أميركا وإسرائيل إلى الجيش بعد حرب تمّوز للحد من قوة مقاومة إسرائيل. صحيح أنه كان لحافظ الأسد أجندته الخاصة بالنظام لكن أسباب اندلاع المقاومة وتوسّعها كانت داخليّة. (وينسى الجميّل أن العلاقة بين النظام السوري ومخابراته في لبنان من جهة، وبين حزب الله كانت سيئة للغاية. ينسى الجميّل تدشين غازي كنعان والنظام السوري لدخول بيروت الغربيّة بمجزرة «تكنة فتح الله»).

(يتبع حلقة أخيرة)

*كاتب عربي. حسابه على تويتر
@asadabukhalil

مشروع لتسوية الأزمة اللبنانيّة

سعدالله مزرعاني *

يتلبَّد في الأفق مشهد مأساوي تزداد مكوّناته الكوارثية يوماً بعد يوم، وعلى كل صعيد. الأمور تتّجه نحو الأسوأ من دون كوابح أو ضوابط. مكوّنات السلطة السياسية تُراوح في اجترار الأزمة ومعها موارد ومقوّمات البلاد وعافيتها، وصولاً إلى لقمة العيش، وشروط الاستقرار، وأسباب الوجود والاستمرار. من ينشط من أطراف المنظومة السلطوية لا يفعل سوى تبنّي مشاريع تدميرية لا تخدم سوى القوى الدولية والإقليمية (العدو الصهيوني خصوصاً) الساعية للهيمنة على المنطقة. قوى التغيير التقليدية تُراوح، بدورها، في التشتت وعدم القدرة على التشكّل في موقع موحّد ذي برنامج وقيادة وأولويات وخطة.

القوى الغربية وحليفاتها العربيات تمارس الضغوط والتدخل المباشر والحصار والتحريض بوسائل مباشرة ووقحة، وباستغلال وتعميق الأزمة مستهدفةً بالدرجة الأولى، أفضل ما أنتجه الوضع اللبناني، وهو المقاومة ضد العدو الصهيوني التي تمكّنت من هزيمته في لبنان وفرض توازن في مواجهة اعتداءاته أدّى إلى منع تماديه محلياً وإقليمياً.

إزاء هذا الواقع الخطير المفتوح على كوارث التفتيت والتقسيم والضياع وتبديد النجاحات والإيجابيات، تواصل قوى السلطة فئويتها وعجزها وصراعاتها. تواصل، بشكل خاص عقمها بشأن واجبها في توليد تسوية من شأنها وقف التدهور والانهيار.

متى إذن تكون البداية؟

تكون البداية من حيث ابتدأ الخلل. والخلل، بالمناسبة، سياسي وبنيوي، قبل أن يكون مالياً ونقدياً، أو حتى اقتصادياً. إنه خلل جوهري قائم في أساس بنية و«صيغة» السلطة والحكم. هذا الخلل قد تفاقم مع مرور الزمن وأدى إلى ما نكابده من أزمات وتدهور وخسائر. كان هو أيضاً، في أساس عدم الاستقرار في لبنان: في أساس وهن وحدتنا الوطنية، ورهاننا المَرَضي على الأجنبي، وتحاصص الدولة ومواردها وكل مواقع النفوذ فيها. كان أيضاً في أساس الحروب الأهلية، والانقسامات الدائمة، ونشوء الدويلات الداخلية على حساب الدولة الواحدة والفاعلة: في حضورها ودستورها وقوانينها وعلاقاتها في الداخل والخارج...

ازدواجية «الميثاق» والدستور، اتجهت، دائماً، لتغليب العرف على النص والطارئ على الثابت والمؤقت على الدائم. ميزان القوى الذي كان العامل الخارجي حاضراً دائماً بقوة فيه، هو الذي رسم السياسات والعلاقات والأدوار، لا النصوص والمؤسسات الدستورية والقانونية. في مجرى ذلك تبلورت وترسّخت المحاصصة وتحولت إلى منظومة تدار من خلالها شؤون البلاد والعباد حتى أبسط التفاصيل. مع ترسّخ المحاصصة أي تقاسم الموارد والنفوذين السياسي والإداري، تراجعت المصلحة العامة وتفاقمت الفئويات وتعدّدت مراكز القرار، وبالتالي الصراع والتعطيل والاستقواء بالخارج. بهذا وبسواه من الممارسات والإجراءات أصبح النهب مباحاً، والفساد سائداً، والمساءلة والمحاسبة معطّلتين، والعصبيات والغرائز أساس التعبئة، والطائفية عنواناً وقناعاً لتحكُّم فئة تتصارع على النفوذ والحصص، وتتوحّد في السطو على مقدرات ومصائر البلاد، ومن ثم توظيفها في زبائنية تفرض الولاء، وتؤمن استمراره وتجذّر الزعامة وصولاً إلى التوريث.

في ذروة التدهور والانهيار، تعاني البلاد، الآن، من نزاع مرير ومريض على الحصص والحقائب في الحكومة الجديدة. مع ذلك، ليس ما يشير أبداً إلى أن تشكيل الحكومة سيؤدي إلى احتواء الأزمة أو وقف الانهيار. ذلك أن الحكومة العتيدة هي استمرار للصراع، وليست ثمرة محاولة أو تسوية، وفق برنامج وإجراءات وأولويات، لتخفيف آثاره المدمرة: ولو في الحد الأدنى. في المشهد الكئيب الراهن، إن البلاد تسير نحو الأسوأ بما لا يخدم سوى مصالح أعدائها. حسم الصراع لمصلحة طرف دون سواه لن يحصل بغير حرب أهلية لن ينتصر فيها أحد حتى لو عُدّ فيها رابحاً!! الجنوح نحو التسوية إذن هو المسار الذي لا بديل منه. وصفت هذه التسوية في مقالي السابق، (الأخبار 2021/2/27)، بأنها «بسيطة ومعقّدة» في آنٍ معاً. هي تنطلق من إصلاحات الدستور (إصلاحات اتفاق «الطائف» المكرّسة في الدستور بموجب القانون الدستوري(2018/8/21) من أجل تطبيقها كاملة، بعد أكثر من 30 سنة من التعامل، مع الدستور، عموماً، بشكل انتقائي: تطبيقاً أو تعطيلاً! . هي بسيطة لأنها نصوص دستورية لا تحتاج إلى جولات من الحوار والنقاش والخلاف والاتفاق. الكل يدّعي وصلاً بالدستور وحرصاً على التمسك «بالطائف». لكنها معقّدة لأن هذا الحرص مخادع ومناور وانتقائي، وتصطدم إصلاحاته، خصوصاً، بإجماع تعطيلي، قديم وجديد! ليس في مقدور المعارضة الشعبية غير الموحّدة وغير الفعّالة، أن تفرض إعادة تأسيس جديدة. لكنها تستطيع أن تتوحّد حول المطالبة بتطبيق النص الدستوري بكامل بنوده.

توفر العودة إلى الدستور، احتراماً وتطبيقاً، فرصة تحرير الإدارة والمؤسسات عموماً من القيد الطائفي. توفر أيضاً، تهدئة الهواجس الطائفية حول «الشؤون المصيرية»: قضايا الحريات الدينية والسياسية والأحوال الشخصية والعلاقات الخارجية... توفر أيضاً أساساً داخلياً لتسوية تحتضن ولادتها ورعايتها المؤسسات الدستورية اللبنانية. تجنّب هذه التسوية ذات الآليات المنصوص عنها وعن آليات تطبيقها في الدستور، عبث ومخاطر اللجوء إلى القوى الخارجية المنقسمة عربياً ودولياً. تدويل الوضع اللبناني لن يؤدي به إلا إلى الاستنزاف حتى الخضوع أو الوصاية وانعدام السيادة والمصلحة الوطنية.

ليس في مشروع التسوية هذا ما يوجب فتح نقاش لا مبرر له حالياً، حول سلاح المقاومة أو سياسات لبنان الخارجية (خارج نطاق موجب حفظ السيادة)... هذه أمور تتعامل معها إدارة جديدة للبلاد منبثقة من انتخابات تجري وفق النص الدستوري وشروط صحة التمثيل وعدالته.

كيف تبدأ آليات التنفيذ؟

يمكن أن تبدأ من جلسة للمجلس النيابي يُقرّ فيها إنشاء هيئة وطنية ذات تمثيل شعبي ورسمي (أحزاب وشخصيات من السلطة وخارجها) على غرار تركيبة «الهيئة الوطنية لإلغاء الطائفية...» المنصوص عليها في المادة 95 من الدستور... تتولى هذه الهيئة برمجة التنفيذ، وتتولى الهيئات الدستورية المعنية التشريع والتنفيذ.

هذا مشروع برسم القوى الحريصة خصوصاً...

* كاتب وسياسي لبناني

الأخبار al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق إيلي حنا امل الاتحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ للفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع شركة الأوائل 15ـ 01/666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل /AlakhbarNews @AlakhbarNews /alakhbarnews-paper

تقرير

سوريا تتحدّى أزمة القمح: لا انقطاعات في 2021

الكثير من العقود الآجلة لتوريدات القمح القائمة تمنح وزير التجارة الداخلية السوري، طلال البرازي، الثقة في الإعلان أن «لا انقطاعات في تأمين القمح لهذا العام». بل وأيضاً «لا نية لزيادة أسعار الخبز حالياً». بحسب قوله في حديث إلى «الأخبار». وإذ يشير إلى أن العمل جارٍ على تطوير قانون حماية المستهلك وعقوباته، فهو يعد باستمرار الدعم على بعض المواد، مُطمئناً إلى أن فكرة رفعه غير مطروحة حالياً

دمشق ـ **مرح ماشي**

«محرقة الوزراء». هكذا يصف البعض وزارة التجارة الداخلية وحماية المستهلك السورية. بفشل كلّ وزير تموين، عادةً، في كسب ودّ الشارع المثقل بصعوبات الوضع المعيشي، فينال المرتبة الأولى من السخط الشعبي على مواقع التواصل الاجتماعي، من بين جميع أعضاء الحكومة الآخرين، نظراً إلى صعوبة تجاوُز العقبات وسط حصار دولي وتأثيرات حرب السنوات الأخيرة. وكان اسم طلال البرازي على رأس الوزارة المذكورة مثيراً للجدل بما يكفي، على خلفية حمْله الملف «الجمصي» كمحافظ خلال أكثر سنوات معارك المدينة صعوبة، وصولاً إلى دوره في التسويات السياسية التي أنهت الصراع لاحقاً. المُعوَّقات أمام البرازي، هذه المرّة، تتّسع لها رقعة البلاد، وبجميع محافظاتها، أمام أيّ مآزق حكومي ووطني يتمثّل في نقص تمويني أو نفطي، وطوابير تتزايد كلّما اشتدّ الوضع السياسي سوءاً. الإحراج الحكومي الأبرز والدائم تجلّى في أقسى صوره، حين فرغ مخزون القمح الاستراتيجي بما لا يكفي البلاد لأيام، تزامناً مع مطلع العام الحالي، فيما يجب أن يكون لدى الدولة مخزون يكفيها لأشهر قادمة. يبتسم البرازي لدى استذكاره تلك الأيام، قائلاً: «مررنا بظروف صعبة، ولكن لم يحدث انقطاع»، على رغم «عدم القدرة على تسوُّق أكثر من 650 ألف طن من القمح لهذا العام»، بعد أن كان متوسّط إنتاج البلاد من القمح، قبل الحرب، يصل إلى أكثر من مليوني طن (وصل في بعض السنوات إلى 3 ونصف طن). ويفصّل البرازي أزمة القمح السالفة الذكر بقوله: «كان تأمين المادة يتمّ بطرق مختلفة، سواءً من روسيا الاتحادية أو من بعض دول حوض البحر الأسود. إلّا أن المَشْل الروسي كان أبرز ما غطّى حاجاتنا إن كان عن طريق القطاع الخاص أو الحكومة الروسية». إلا أنه يعد بثقة بأن «لا انقطاعات في تأمين القمح خلال عام 2021». ويُبيّن تفاصيل معالجة الملفّ من خلال «التعاون الاقتصادي عبر اللجنة السورية ـ الروسية المشتركة»، إذ جرى التعاقد على «مليون طن من القمح، والعقود الآجلة للتوريدات القائمة ضمن برنامج زمني، ما يُغطّي الحاجة حتى شهر تموز القادم، أي موعد البدء بتسويق الأقماح». وإذ تعلن وزارة الزراعة هذا العام «عام القمح»، فإن البرازي يبدو مطمئناً إلى «تغطية عدة أشهر قادمة من القمح حتى نهاية العام، مهما كانت الكمّية التي من الممكن تسوُّقها في الصيف القادم». ويطمئن إلى أنه «لا توجد حالياً نية لزيادة أسعار الخبز».

تحتاج سوريا الى مليون ربطة خبز يوميا، اي 36 مليون رغيف (اف ب)

40 الف ليرة سعر الطن ام الكيس؟

في مكتبه داخل مبنى وزارة التجارة الداخلية في العاصمة السورية، يجلس طلال البرازي بهدوء من يعي أزمات وزارته جيداً. وخلال مقابلته مع «الأخبار»، يجيب عن الأسئلة بثبات وثقة. «نحن بحاجة إلى مليون ربطة خبز يومياً، أي 36 مليون رغيف»، يقول البرازي، مضيفاً أن «هناك متعة في وصول المؤسسة إلى تأمين هذه المادة وتحسين صناعتها بنسبة كبيرة، ومكافحة حالات الفساد، ولو جزئياً في ظلّ الدعم وفارق السعر». قرار حكومي صدر قبل أيام يقضي بتسعير كيلو القمح بـ900 ليرة، بعد أن كان محدّداً بـ550 ليرة، يمكن المساهمة من خلاله في زيادة نسبة التسليم وتغطية احتياجات الدولة السورية لفترة طويلة نسبياً، بحسب رؤية الوزير، الذي يعتبر السعر الجديد مجزياً، ويلفت إلى أن سعر مبيع الدولة للطنّ الواحد من الطحين للأفران التموينية الخاصة أو مخابز الدولة هو 40 ألف ليرة، بينما هذا الرقم يعادل السعر الفعلي لكيس الطحين الواحد، وذلك كي تُباع ربطة الخبز بـ100 ليرة. ويعزو الرجُل الازدحام الحاصل أمام المخابز العامة إلى الاختلاط السكاني بين محافظتَي دمشق وريفها، والذي لم يسمح بفصل حصص المحافظتَين من الخبز، لافتاً إلى تزايُد أعداد معتمَدي مبيع الخبز في المحافظات أكثر مما هو الحال في العاصمة، إذ لم يتجاوز عدد هؤلاء في دمشق 160، فيما يصل عددهم في اللاذقية وطرطوس إلى 800. وبحسب الوزير، يجري العمل على دراسة للتخفيف من هذه الأعباء.

عشرات الضبوط... وعقوبات غير رادعة

في بلاد يستخدم بعض أفرادها الخبز المدعوم كعلف للحيوانات، متذرّعين بوصول سعر كيلو العلف إلى 300 ليرة، فيما سعر ربطة الخبز يعادل 100 ليرة، تبرز الحاجة إلى إجراءات تحدّ من الهدر الحاصل. دعم الدولة مادة القمح، بشكل غير مدروس، يترك المجال لتهريب الطحين، بحسب ما يقوله المهتمّون، فيما كلّ ما يمكن للحكومة أن تفعله إزاء حالات الفساد التي لا تنتهي هو تنفيذ الضبوط. يتحدّث البرازي عن عشرات الضبوط اليومية، مشيراً إلى «ارتفاع نسب معالجة المخالفات الجسيمة كتهريب الطحين والغشّ في المواد 300% عن العام الفائت، نظراً إلى تأثير هذه المخالفات على الخزينة العامة والدعم المعيشي للمواطن وصحته». غير أنه يستدرك بأن «وجود سعرَين أو أكثر للمادة يُسبّب مشاكل متعدّدة»، لافتاً إلى «وجود دراسة لتوحيد السعر، بما يفيد مصلحة المواطن». ويعتبر أن «ثقافة الشكوى عند المواطنين ضعيفة مقارنة بالاحتجاج، إذ إن الشكاوى التي تصل إلى الوزارة تعالَج فوراً»، بحسب تعبيره. ويتساءل عن قدرة 40 مراقب تموين على تغطية الأسواق في ظلّ وجود 3600 نقطة بيع. ولدى سؤاله عن جدوى الشكاوى وطرق معالجتها، قدّم مثالاً عن «وضع اليد على ثلاثة من تجار حمص المخالفين، ليتمّ بيع جميع الأعلاف الخاصة في المداجن، تحت إشراف دوريات التموين، لتوافُر شكوى مزوّدة بالمعلومات». وهُنا، لم يغفل الوزير حاجة قانون حماية المستهلك إلى تطوير، إذ إن للإغلاق سقفاً، والمحاسبة القانونية في القضاء محدودة، بينما الغرامات المالية لا تتجاوز 100 ألف ليرة، بما لا يشكّل قوة ردع. وعليه، يعلن البرازي «(أننا) بصدد دراسة قانون جديد لحماية المستهلك، بما يسمح بتشديد الغرامات التي يجب أن تصل إلى ملايين الليرات، وعقوبات جزائية بالحبس لمدّة تتراوح بين 3 أشهر إلى 5 سنوات مع الأشغال الشاقة».

> **يعتبر وزير التجارة الداخلية تجربة «البطاقة الذكية» ناجحة بنسبة 80%**

لا رفع للدعم

وعلى رغم الانتقادات الكثيرة التي أثارها بدء العمل عبر البطاقة الذكية، فإن البرازي يعتبر التجربة ناجحة بنسبة 80%. وذلك لا بتطبيق، بنظره، على مناطق تعاني من ضعف تغطية الاتصالات كدرعا وبعض مناطق إدلب ودير الزور. ويعلّق على الأمر بقوله: «نعوّض الضعف أحياناً بالسماح لبعض فروع السورية للتجارة بتزويد المواد عبر دفاتر العائلة في بعض المناطق. وأحياناً نُمدّد الفترة الزمنية للاستفادة من البطاقة مدّة أطول». ويضيف: «لا يوجد ازدحام اليوم في معظم فروع السورية للتجارة. هناك مشكلة في توزيع مادة المازوت. والأمر متروك للتقدير في توزيع الكميات بحسب حاجة كلّ محافظة». ومجيباً على سؤال حول البنزين والطوابير على محطات الوقود، يطمئن إلى أن الأزمة الحالية مؤقتة، وسط المحاولات الحكومية المتواصلة لاستمرار تأمين المادة. وفي ما يخصّ الحصول على الخبز عن طريق البطاقة، يلفت البرازي إلى تزويدها بشريحة، بحسب عدد أفراد العائلة، مما يُنظّم ويُخفّف الهدر. ويقول: «ما عاد يمكن لـ 76% من المواطنين أن يحصلوا على 4 ربطات، كما حصل سابقاً، بل اقتصرت نسبة مَن ينال هذه الكمية على 5% هم المستحقون الفعليون، ما ألزم الأفران الخاصة بالكمّيات، وهامش أقل للتهريب والمتاجرة بالمادة». وإذ ساد الهمس أخيراً حول مسؤولين سوريين عدة يميلون إلى فكرة رفع الدعم، إنما يهدف إيصاله إلى مستحقّيه فقط، يُطمئن البرازي إلى أن فكرة رفع الدعم غير مطروحة حالياً، إنما توجد دراسة لمقترحات تسمح بأن يعود الدعم إلى ذوي الدخل المحدود أو المستحقين، وذلك عبر البطاقة الذكية أيضاً. لكن لا شيء من هذه المقترحات قيد التنفيذ حالياً. ولذا، يؤكد الوزير «(أننا) مستمرون في دعم المواد ذاتها، بما فيها الزيت، إن توفّر».

اليمن

تصعيد الضغوط على صنعاء:
توقّعات استخباريّة غربيّة بقرب سقوط مأرب

صنعاء ــ **رشيد الحداد**

مع اقتراب المواجهات بين قوات صنعاء، والقوات الموالية للرئيس المنتهية ولايته، عبد ربه منصور هادي، من البوابة الغربية لمدينة مأرب، واشتدادها في أكثر من محور في محيط المدينة، صعّد تحالف العدوان السعودي ـ الإماراتي جواً وبرّاً، محاولاً إنقاذ معقل «الشرعية» التي يستخدمها منذ ستّ سنوات كغطاء لتمرير أجندته. وإلى جانب إرسال الرياض شحنة أسلحة جديدة إلى قوات هادي في مأرب، ودعم سلطات المدينة بمئات الملايين من العملة السعودية لشراء المزيد من المقاتلين والولاءات في أوساط قبائل محيط مأرب وعبيدة، عمدت إلى إشعال جبهتَي ريف تعز الغربي وحيران ـ عبس الواقعة على الحدود اليمنية ـ السعودية، في محاولة منها لإرباك الجيش و«اللجان الشعبية».

وتزامناً مع التصعيد العسكري، رمت الرياض بكلّ ثقلها الدبلوماسي لوقف تقدُّم قوات صنعاء. وعلى رغم أن جبهة صرواح مشتعلة منذ العام الأول للعدوان، إلا أن السعودية تعمد إلى التهويل في شأن خطورة سقوط مأرب كونها المعقل الأخير لوصايتها في المحافظات الشمالية، وخطّ الدفاع الأول عن مصالحها ومصالح رعاتها الغربيين في السواحل الغربية والشرقية والمحافظات النفطية جنوب البلاد. وهذه المعركة، التي حرّكت الركود السياسي والعسكري خلال الأسابيع الماضية، لا تزال على أشدّها في عدد من محاور القتال. فخلال الساعات الثماني والأربعين الماضية، دارت مواجهات عنيفة في عدد من المرتفعات والمناطق الواقعة ضمن النطاق الإداري للمدينة، وانتهت إلى تقدُّم الجيش و«اللجان» شرق منطقة العكد في جبهة نخلا غربي المدينة، وذلك بعد تقدُّمهما أول من أمس في اتجاه منطقة القاعد في محيط العكد، وهو ما يقرّبهما من قاعدة «صحن الجن» العسكرية من جانب، ويفتح مساراً آخر للمواجهات الجارية في محيط الطلعة الحمراء التي صارت تحيط بها قوات صنعاء من أكثر من اتجاه بعد تقدُّمها نحو الطلعة من وادي البراء.

وتقول مصادر قبلية إن قوات هادي بنت خطوطاً دفاعية جديدة شمال «صحن الجن»، وفي منطقة الميل التي اقتربت المواجهات منها، وتُعدّ من المناطق المحيطة بالقاعدة العسكرية التي تحتوي مقرّ وزارة الدفاع التابعة لهادي. وفي الوقت الذي نُفّذ فيه الجيش و«اللجان»، خلال الساعات الماضية، عملية بحرية في سدّ مأرب أدّت إلى تفجير زورق عسكري لقوات هادي، دارت مواجهات عنيفة بين الطرفين في سلسلة جبل البلق القبلي شارك فيها طيران العدوان بسلسلة غارات محاولاً وقف تقدُّم الجيش و«اللجان» في ما تبقّى من السلسلة الجبلية الاستراتيجية. ومقابل هدوء حذر شهدته جبهات العلم شمال مأرب، اشتدّت المواجهات جنوب المدينة خلال اليومين الماضيين، وخاصة في مديرية جبل مراد، وذلك على مسارين منذ مساء الأربعاء حتى فجر الجمعة، وحقّقت فيها قوات صنعاء تقدُّماً كبيراً في الأوشال وال الأحمد.

> **تصاعدت الضغوط الدولية إلى أعلى مستوياتها على حكومة صنعاء**

بالتوازي، وجّهت السعودية قيادة «المنطقة العسكرية الخامسة» على الحدود، ومقرّها في جيزان، بالتصعيد في جبهات حرض وعبس الواقعة على بعد أكثر من 130 كلم شمالي الحديدة. وبعد محاولة تقدُّم لتلك القوات في أطراف مديرية حيران بمحافظة حجة، نُفّذ الجيش و«اللجان» عملية التفاف داخل الأراضي السعودية بعد صدّهما الهجوم في أطراف حيران، حيث تمكّنا من إفشال هجوم لقوات هادي انطلق من منطقة

أحد المسابحة داخل الحدود. كما تُقدّما في مناطق أخرى، وغنما أسلحة سعودية ثقيلة ومتوسّطة. وبالتزامن، تابعت ميليشيات حزب «الإصلاح» تصعيداً ممائلاً غرب تعز بدعوى تخفيف الضغط عن جبهات مأرب، لكن مجريات المعركة في ريف تعز تشير إلى أن «الإصلاح» يصبّ تركيزه على تحجيم سيطرة الميليشيات الموالية للإمارات في الساحل الغربي، والسيطرة على ميناء المخا الواقع تحت السيطرة الإماراتية منذ 2017، كونه المَنفذ البحري الوحيد لما يسمى مشروع «إقليم الجند».

في هذا الوقت، تصاعدت الضغوط الدولية إلى أعلى مستوياتها على حكومة صنعاء، في محاولة لوقف التقدُّم تجاه مأرب وتحريرها. وعلى خلفية معلومات استخبارية تفيد بأن المدينة قاب قوسين أو أدنى من السقوط، ضاعفت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ضغوطها، مُصدرةً، بالإضافة إلى إيطاليا، بياناً دانت فيه العمليات الهجومية التي استهدفت غرف العمليات الحربية في «صحن الجن» وقيادة المنطقة العسكرية الثالثة في المنطقة نفسها، فضلاً عن استهداف اجتماع لقيادات عسكرية تابعة لهادي مع قيادات سعودية، بينهم المتحدّث باسم قوات «التحالف»، تركي المالكي، مساء الثلاثاء الماضي في مأرب، أوقع العشرات بين قتيل وجريح. وتفيد مصادر بتعرُّض المالكي، أيضاً، لإصابة طفيفة، ومقتل عدد من الجنود السعوديين المرافقين لقيادات عسكرية موجودة في المدينة منذ أسبوع.

وسبق أن هاجم زعيم حركة «أنصار الله»، عبد الملك الحوثي، الدول التي أصدرت البيان في خطاب ألقاه الأربعاء الماضي بمناسبة الذكرى السنوية لاستشهاد مؤسّس الحركة، حسين الحوثي، واتّهمه فمن يطالب بوقف معركة تحرير مأرب بـ«مشاركة دول العدوان في قتل الشعب اليمني الذي تعرّض لمجازر جماعية بالقنابل والطائرات الأميركية والبريطانية، والسلاح الأوروبي»، مؤكداً أن الجيش واللجان سيواصلان تقدُّمهما نحو المدينة.

«أنصار الله» ترفض الخطّة الأميركية لـ«السلام»

ردّ الناطق باسم «أنصار الله»، رئيس وفدها التفاوضي محمد عبد السلام، عبر قناة «المسيرة» التابعة للحركة، على الخطّة التي أعلنها المبعوث الأميركي إلى اليمن، تيم ليندركينغ، لوقف إطلاق النار في هذا البلد، واصفاً إيّاها بأنها «مؤامرة» تهدف إلى «وضع اليمن في مرحلة أخطر ممّا هو عليه»، مضيفاً إنها «تمثّل الرؤية السعودية والأمميّة». وأوضح عبد السلام أن المقترح الأميركي لا يتضمّن وقفاً للحصار ولا وقفاً لإطلاق النار، ولا يعدو كونه «التفافات شكليّة تؤدّي إلى عودة الحصار بشكل دبلوماسي»، مشيراً إلى أن أحد الشروط المطروحة يقتضي تحديد وجهات مطار صنعاء، وإصدار التراخيص عبر التحالف السعودي ـ الإماراتي. وقال: «لو كانوا جادّين لوقف العدوان والحصار، لأعلنوا وقف الحرب والحصار بشكل جادّ، عندها سنركب بهذه الخطوة».

وكان ليندركينغ قد أعلن عن «خطّة متماسكة» لوقف إطلاق النار في اليمن، قال إنها معروضة «منذ عدّة أيام» على طاولة «أنصار الله»، مؤكداً أن السعودية مستعدّة للتعاطي مع الصراع اليمني «بطريقة لم تكن مستعدّة لها قبل 6 أشهر»، وأنها «ستدعم جهودنا». كذلك، أشار إلى أن الحركة تقوم بدور رئيسيّ في اليمن، و«لا يمكن تجاهل ذلك»، وإلى أنه سيعود «على الفور» إلى المنطقة «عندما يكون الحوثيون مستعدّين للتفاوض». كما قال.

(الأخبار)

سوريا

حراكٌ روسي لكسْر «عزلة» دمشق: لا تجاوز خليجياً للسقف الأميركي

حمل وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، مطلباً اساسياً في جولته الخليجية خلال الأيام القليلة الماضية، وهو كسْر عزلة دمشق العربية والإقليمية، وإعادة سوريا إلى الجامعة العربية. وعلى رغم الموقفين الإماراتي والسعودي المتناسبَين مع المطلب الروسي ــ في مقابل اصطدام لافروف بموقف قطر الرافض لعودة سوريا ــ فإن تحرّكات دول الخليج تجاه الحكومة السورية تظلّ محصورة في الهامش الأميركي الضيّق المُتاح أمامها

بالتزامن مع بلوغ الذكرى العاشرة لاندلاع الأحداث في سوريا، والتي شرعان ما اصبحت اعمالاً حربية دامية، وقبل قرابة شهرين من الموعد المحدّد لإجراء الانتخابات الرئاسية السورية، تشهد المنطقة حراكاً روسياً ـ عربياً، بهدف في الجزء الأهمّ منه إلى إنهاء سنوات العزلة العشر التي عاشتها الحكومة في دمشق، منذ تجميد مقعد سوريا في «جامعة الدول العربية» في تشرين الأول/ اكتوبر 2011، وتتابُع إعلان الدول العربية قطع علاقاتها معها، باستثناء دول قليلة كالعراق ولبنان. ومثّلت «إعادة سوريا إلى محيطها العربي والإقليمي»، وتحديداً إلى «الجامعة العربية»، المطلب الرئيسي الذي حمله وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، في جولته الخليجية في الأيام القليلة الماضية، والتي زار خلالها أبو ظبي والرياض والدوحة.

في الرياض، سمع لافروف موقفاً متناسباً مع المطلب الروسي، إذ أكّد وزير الخارجية السعودي، فيصل بن فرحان، أهمية إيجاد مسار سياسي يؤدي إلى تسوية في سوريا، ويمهّد لعودتها إلى «الحضن العربي»، لافتاً إلى أن حلّ الأزمة «يتطلّب توافقاً بين أطرافها من معارضة وحكومة». وإلى أبعد من ذلك، ذهب الموقف الإماراتي الذي جاء على لسان وزير الخارجية، عبد الله بن زايد، إذ اعتبر الأخير، أن «عودة سوريا إلى محيطها أمرٌ لا بدّ منه، وهو من مصلحة سوريا والمنطقة ككلّ»، مشيراً إلى أن «التحدّي الأكبر الذي يواجه التنسيق والعمل المشترك مع سوريا هو قانون قيصر»، مضيفاً إن «إبقاء القانون كما هو اليوم يجعل هذا المسار والأمر في غاية الصعوبة». ومن هنا، شدد على ضرورة فتح حوار مع الإدارة الأميركية. لكن ردّ واشنطن سرعان ما أتى في الاتجاه المعاكس، حيث رأى متحدّث باسم وزارة الخارجية، عبر قناة «الحرة»، أن «الأزمة الإنسانية الشديدة الخطورة في سوريا هي نتيجة مباشرة لعرقلة نظام الأسد للمساعدات المنقذة للحياة والفساد المنهجي وسوء الإدارة الاقتصادية»، وليست بسبب قانون «قيصر» كما ادّعى. أمّا في قطر، حيث عقد لافروف لقاءً مع نظيريه، القطري محمد بن عبد الرحمن آل ثاني والتركي مولود جاووش أوغلو، فقد سَمع موقفاً فحواه أن عودة سوريا إلى «الجامعة العربية» مشروطة بحدوث تقدُّم نحو الحل السياسي.

سمع لافروف في قطر موقفاً فحواه ان «اسباب تعليق عضوية سوريا في الجامعة العربية لا تزال قائمة» (الاناضول)

> **لا تزال الدول الخليجية تتحرّك تحت السقف الاميركي الرافض لعودة سوريا إلى «الجامعة العربية»**

توجّه موسكو، من جديد، نحو العواصم العربية ذات التأثير في الملفّ السوري، ومن بينها الدوحة، التي على رغم فقدانها جزءاً كبيراً من دورها هناك، إلا أنها تحتفظ بشيء من النفوذ عبر مساهماتها في الجهود التركية، واتصالها بعدد كبير من قياديّي المعارضة الموجودين على أراضيها، أو حتى داخل سوريا، أو أولئك المنضوين ضمن جماعة «الإخوان المسلمون». ويستهدف هذا المسعى الروسي المتجدّد، والذي يأتي مع اقتراب موعد الانتخابات الرئاسية في سوريا في أيار/ مايو المقبل، كسْر عزلة «دمشق» في محيطها، إلا أن دول ذلك المحيط، وتحديداً الخليجية، لا تزال تتحرّك تحت السقف الأميركي الرافض لعودة سوريا إلى «الجامعة العربية»، والمهدّد لأيّ دولة تعمل على إعادة علاقاتها معها، وخصوصاً في الجانب الاقتصادي. وفي هذا الإطار، جدّد المتحدّث باسم الخارجية الأميركية، نيد برايس، أول من أمس، موقف بلاده من الأزمة السورية، مؤكداً أن الولايات المتحدة «لن تُطبّع العلاقات مع النظام في أيّ وقت، ولا شك في ذلك أبداً»، مضيفاً إن واشنطن «ستستخدم مجموعة متنوّعة من الأدوات المتاحة، للضغط من أجل حلّ مستدام ينهي معاناة الشعب السوري»، في إشارة إلى نيّتها الاستمرار في سياسة الخنق ضدّ دمشق.

(الأخبار)

المقابلة

يعتقد رئيس حزب «البعث» السوداني، يحيى الحسين، أن العسكر الذي يستعدّ للانقضاض الكامل على السلطة في أيّ فرصة تتاح له، أراد، من خلال الهرولة إلى التطبيع، تشكيل درع حماية لقياداته المتورّطة في جرائم بحقّ السودانيين. عادّاً كلّ ما يُحكى عنه من «فوائد» ستجنيها البلاد من التطبيع مجرّد دعاية غير واقعية. وإذ يلفت الحسين، في مقابلة مع «الأخبار»، إلى أن حكومة عبد الله حمدوك ملتزمة تماماً بما تطرحه المؤسسات الدولية، فهو يعرب عن اعتقاده بأن «الثورة» التي أطاحت عمر البشير باتت بحاجة إلى جولتَين إضافيتَين

يحيى الحسين

رئيس حزب «البعث» السوداني والقيادي في «ائتلاف الحرية والتغيير»

- التطبيع حصل بموافقة الحكومة ولن يجني السودان منه شيئاً
- حكومة حمدوك ملتزمة بما تطرحه مؤسّسات الرأسمالية العالمية
- العسكر يستعدّ للانقضاض الكامل على السلطة

أجرتها **مي علي**

■ هل ترون في اندفاع العسكر نحو تطبيع العلاقات مع إسرائيل، محاولة لتوفير الحماية لقياداته، وإفلاتهم من العقاب عن الجرائم التي ارتُكبت إبّان الأحداث التي أدّت إلى إطاحة نظام عمر البشير؟

- نعم، يعتقدون أن التطبيع واحد من الملاذات الآمنة التي يمكن أن يحموا بها أنفسهم؛ فإسرائيل الحليف الدائم لأميركا، ومعنى ذلك أنها ستُوفّر لهم الحماية، لا سيما أن الولايات المتحدة الأميركية غير مُوقّعة على «ميثاق روما». العساكر يريدون دخول هذا المحور، ولذا بادروا في ملفّ التطبيع، وهو ما تلقّفته إسرائيل التي أدركت أن الحكومة في حالة ضعف، وبالتالي من المناسب جداً تمرير الملفّ حتى يصل إلى التطبيع الكامل، إن أخطر مدى يمكن أن يصله نظام في العلاقات الدولية ضدّ الثوابت هو أن يُطبّع مع إسرائيل. فإسرائيل الآن تُعلن أنها دولة يهودية، والقدس عاصمة للدولة اليهودية، فهي دولة عنصرية صهيونية دينية، ودولة مغتصبة أبادت شعباً بأكمله، وهي أسس تناقض أهداف الثورة. ويجب التأكيد، هنا، أن ملفّ التطبيع تمّ بتنسيق كامل بين مجلس السيادة ومجلس الوزراء، وبموافقة كاملة من الحكومة.

■ هل تمضي وزارة العدل في اتجاه إلغاء قانون مقاطعة إسرائيل؟

- نعم، شرعت وزارة العدل في إلغاء قانون مقاطعة إسرائيل، لكن حتى الإلغاء اللاحق لا يعطي مشروعية لاتّخاذ قرارات في ظلّ وجود هذا القانون. بمعنى أن القرار الذي يُتّخذ في ظلّ وجود قانون يُصنّفه جريمة، يظلّ جريمة قائمة حتى وإن تمّ إلغاؤه لاحقاً. لكن من غير المستبعد أن تُدرج وزارة العدل، بعد إلغاء مادّة التعامل مع إسرائيل، مادة تنصّ على أن القانون الجديد يُجبّ ما قبله. مثل هذا الفعل ينقلنا من ثورة شرعية وعظيمة إلى دولة قائمة على انتهاك العهود والمواثيق الدولية والمبادئ الأصولية في القانون وهي عدم رجعية القوانين، وعدم تعديل أيّ قانون إلّا في ظلّ شرعية دستورية. فإذا ألغيت كلّ تلك المبادئ بتفصيل قوانين لمقتضى المرحلة، معنى ذلك أنا لا نوجد فرْق عن حكومة الإنقاذ.

■ تَعِد السلطة، في محاولاتها الترويج للتطبيع، بدعم تقني زراعي واقتصادي ستُقدّمه إسرائيل للبلاد، هل تُصدّقون تلك الوعود؟

- إسرائيل لم يَحدُث أن قدّمت أيّ دعم لأيّ دولة، والنشاط الزراعي الإسرائيلي تحديداً هو نشاط فلسطينيين، أمّا ما تُمكن الاستفادة منه عبرها فهو أسلحة دمار، لكن حتى ذلك لم نرَه في الدول التي طَبّعت قبلنا كجنوب السودان وتشاد. إسرائيل دولة مُتلقّية للدعم في المقام الأول، وهي دولة مُتسوّلة بما للكلمة من معنى، وتبتزّ دولاً أخرى.

■ في ظلّ مُضيّ السلطة في إتمام ملفّ التطبيع، كيف ستتصرّفون كحزب حيال ذلك؟

- نحن في الحزب سنظلّ نقاوم التطبيع بكلّ الوسائل. ونعتقد أن الشعب السوداني بأجمعه ضدّ التطبيع، وما يجري من قِبَل الحكومة هو عمل من مجموعة من العملاء يقومون بتسديد فواتير لأنظمة تتبنّاهم. أمّا بالنسبة إلى الأحزاب التي أعلنت تأييدها للتطبيع، فإن عضويتها في الحقيقة ضدّ التطبيع، لكن العناصر التي تقود تلك الأحزاب هي التي قرّرت بالإنابة عن عضويتها، وهي عناصر معلومة لدينا بتاريخها القديم في العمالة لإسرائيل، وللدول التي تربطها علاقة مع إسرائيل.

■ طغى طابع المحاصصات الحزبية على الحكومة الثانية في عهد سقوط عمر البشير، هل يمكن أن تنجح القيادات الحزبية في ما فشلت فيه الكفاءات؟

- لا نستطيع وصْف هذه الحكومة بأنها حزبية كاملة الدسم، كما أنها ليست حكومة مكوّنة من كفاءات مستقلّة، بل هي خلطة نتيجة محاصصات بين مكوّنات جزء ضئيل من الحرية والتغيير وبعض ما تبقّى من الحكومة الأولى، وهي محاولة تصفية تمّت لحساب محاور أجنبية. لو تمعّنت في تشكيلة الحكومة الجديدة، تجد أن غالبية الوزراء مرتبطون بمحاور إقليمية أو دولية، ومَن أُبقي عليهم من الحكومة الأولى ظلّوا نزولاً عند رغبة تلك المحاور. الحكومة الجديدة تمّ تشكيلها لتنفيذ برنامج هو قطعاً ليس برنامج الحرية والتغيير، والدليل على ذلك حديث رئيس الوزراء عن أن لديه برنامجاً، ومَن يُوقع عليه هو مَن سيشاركه في التوليفة الحكومية الجديدة، وفعلاً اعتكف رئيس الوزراء مع حكومته لمدّة ثلاثة أيام، خرج بعدها ببرنامج تفاصيله غير معلومة لدينا، لكن من المؤكد أنه برنامج يؤكد تبعية السياسة الاقتصادية للمؤسّسات الدولية - صندوق النقد الدولي والبنك الدولي -، وللرأسمالية العالمية التي تتعارض مع برنامج الحرية والتغيير الاقتصادي الذي يهدف إلى إقامة دولة رعاية اجتماعية، تضع يدها على وسائل الإنتاج والخدمات. وأصبح من المعلوم أن معظم مكونات الحرية والتغيير صارت خارج التشكيلة الحكومية الجديدة، سواء الأحزاب أو المهنيّين أو المجتمع المدني، والمشاركون هم نسبة ضئيلة من مكوّنات الحرية والتغيير.

■ تُتّهم الأحزاب المشاركة في الحكومة بأنها تتبنّى خطّ «الهبوط الناعم» والمصالحة مع بقايا النظام السابق، بدعوى أن إقصاءهم سيتسبّب بدخول البلاد في أزمات عديدة؟

قد تكون هذه مرحلة ثانية من برنامج الحكومة. يمكننا القول إن مجرّد التحالف مع المكوّن العسكري يدلّ على أن الحكومة يمكن أن تصل إلى حدود أخطر من ذلك، كأن يتمّ التحالف مع مكوّنات بقايا النظام السابق، باعتبار أن تلك المكوّنات لديها علاقة وثيقة مع المؤسّسات الدولية والإقليمية. ما هو واضح تماماً أن الحكومة الحالية متمسّكة بما هو مطروح من المؤسّسات الدولية، وكلّ من يوافق على تلك الأجندة سيكون جزءاً من الحزب الحاكم الجديد.

■ الحملة التي شُنّت من قِبَل المكوّن العسكري على «لجنة إزالة وتفكيك نظام الثلاثين من يونيو (حزيران) 1989»، هل يمكن اعتبارها جزءاً من المخطّط نفسه؟

لجنة «إزالة التمكين» وكلّ آليات تفكيك النظام السابق تعمل بوتيرة ضعيفة، وبكوادر متواضعة، وبقدرة وآليات تكاد تكون منعدمة، لأن سلاحك في الوصول إلى مبتغاك هو أن تكون لديك أنياب ومخالب، وهذا ما لم يحدث، حتى رئيس اللجنة من المكوّن العسكري، والذي من المفترض أن يشكّل مصدر قوة للجنة، انسحب منها. عمل «إزالة التمكين» أصبح جزءاً من كواليس الصراع؛ فهناك خطوط حمراء أمام عملها لا تسمح لها بالوصول إلى الشركات والبنوك المتعلّقة بالجيش، والتي تُمثّل حبلاً سرّياً للمنظّمات العاملة ضدّ الحكومة. أعتقد أن الشراكة المفروضة على القوى السياسية بين المدنيين والعساكر هي التي تسبّبت بكلّ تلك المتاريس، كما تسبّبت بشقّ صفّ القوى الثورية. وأعتقد، أيضاً، أن 90% من القوى التي خرجت من التوليفة الحكومية وصلت إلى قناعة بأن الثورة لا بدّ لها من جولة أخرى بل وجولتين لتصحيح المسار؛ تستهدف الجولة الأولى إخراج المكوّن العسكري، والثانية العناصر المحسوبة على المكوّن العسكري، بعد ذلك يمكن تنفيذ أهداف الثورة.

■ يبدو واضحاً أن الشارع فقد الثقة بالقوى المدنية نتيجة الفشل الذي لازم حكومتَي ما بعد البشير، كيف يمكن للمدنيين استعادة هذه الثقة؟

لو تمعّنا في تشكيلة الحكومة الجديدة، نجد أن غالبية الوزراء مرتبطون بمحاور إقليمية أو دولية

ما يجري من قِبَل الحكومة هو عمل مجموعة من العملاء يُسدّدون فواتير لأنظمة تتبنّاهم

- الشارع، منذ بداية الثورة، لم يُعوّل على القوى الحزبية. الشباب الثائر، بمكوّناته الجديدة التي تبلورت بعد الثورة (لجان المقاومة)، اتضحت له الصورة الآن: هناك قوى من البداية كان لديها تحفّظ على الشراكة مع العساكر، وهناك قوى ناهضت الشراكة، وتوجد قوى ثالثة انسحبت بسبب الشراكة وبسبب الانصياع للعساكر في مسائل كثيرة، وهناك تيّار انسحب مغاضباً لعدم إشراكه في الحكومة... فأصبحت الأشياء مكشوفة. لكن نشوب موجات ثورية جديدة، وإن كانت لتصحيح المسار، قد يؤدي إلى انقضاض العساكر على السلطة بحجّة منْع البلاد من الانزلاق نحو الفوضى. مجموعة الشركاء من المكوّن العسكري يتململون منذ وقت مبكر، ومتحفّزون للاستيلاء على السلطة، لكن في كل مرّة الشارع يُلقّنهم درساً. فالمواطنون وصلوا إلى قناعة بقيام دولة ديموقراطية تعدُّدية، وألّا يعود النظام السابق أو أيّ واجهة تُمثّله بأيّ شكل من الأشكال، سواءً استناداً إلى إرث ديني أو عسكري. صحيح أن الشارع ساخط على ممارسات الحكومة وضعف أدائها وعدم تمكّنها من توفير حتى رغيف الخبز، لكن لا تزال الإشارة الحمراء مرفوعة في وجه العساكر وفي وجه كلّ مستبدّ آخر. من جانبهم، العساكر غير مستسلمين لتلك الحقائق، ودائماً يعملون على تأزيم الموقف لضرب الحكومة؛ مثلاً ما حدث في ملفّ السلام وما صاحبه من إفرازات هو جزء من التأزيم، فالعساكر يسعون في البحث عن حلفاء آخرين من الحركات المسلحة لتقويتهم في وجه المدنيين. من الممكن أيضاً أن يؤسّس العساكر على كيان مجلس الشركاء الذي أنشئ من قِبَلهم، بوصفه حاضنة سياسية جديدة يمكن أن تمنحهم مزيداً من السنوات الانتقالية. فللعساكر أوراق كثيرة يمكن أن يلعبوا بها في سبيل عدم غيابهم عن المشهد، والذي يُمثّل نهاية لهم.

■ هل يعني ذلك أن العساكر يتشبّثون بكرسيّ السلطة لحماية أنفسهم؟

- نعم، المكوّن العسكري، بشقّيه القوات المسلحة والدعم السريع، مطلوب للعدالة، فجريمة فضّ الاعتصام جريمة لن يتنازل عنها الشعب السوداني. هم لا يريدون أن تصل الملفّات إلى نهايات منطقية على أساس محاكمة الفاعل والمحرّض.

مصر

الإسرائيليّون يغزون سيناء... بالاستثمار!

رجل أعمال إسرائيلياً في البحث في تعميق الاستثمارات الإسرائيلية في مصر والتنسيق للعمل مع شركات مصرية، سواء مباشرة أو ضمن تحالفات دولية، لكن الأهمّ كان التصريح المصري الرسمي عبر اللواء فهمي الذي أكد «البحث في سبل التعاون المشترك في جميع المجالات»، علماً بأنه لم يسبق لمسؤول مصري الحديث بهذه اللهجة منذ مدّة طويلة، لكن بخلاف المناقشات الاقتصادية التي رحّبت بأموال الإسرائيليين في سيناء، كان المطلب المصري الرئيسي والعاجل الإسراع في رفع شرم الشيخ من وجهات السفر المحظورة على السيّاح الإسرائيليين، وهي الخطوة التي تهدف بها مصر إلى إنعاش الحركة السياحية في المدينة التي يدخلها الإسرائيليون من دون تأشيرة أو موافقة مسبقة بموجب اتفاقية «كامب ديفيد».

أيضاً، تخلّلت اللقاء، كما تنقل مصادر مطلعة، مناقشاتٌ أمنية مستفيضة عن الوضع في سيناء عامة، ولا سيما على طول الشريط الحدودي، والوضع خاصة شمال سيناء، علماً بأن الوفود الإسرائيلية التي ستصل عبر معبر «طابا» البرّي ستخطى بتأمين كامل حتى شرم الشيخ التي باتت منتجعاً سياحياً مُحصّن المداخل والمخارج بشكل كامل، وتحظى برقابة أمنية بالكاميرات من جميع المداخل والمخارج، بما فيها الطرق الجبلية التي تمّ تأمينها وإنشاء نقاط حدودية على أبوابها. وتُعوّل القاهرة على السيّاح الإسرائيليين الذين يفضّلون المدينة لانخفاض أسعار الإقامة فيها مقارنة بالمنتجعات الإسرائيلية، فضلاً عن رکود الحركة السياحية عموماً وعجز السيّاح الإسرائيليين عن الذهاب إلى وجهات أخرى بعيدة نتيجة جائحة «كورونا». لهذا، تقرّر أن يعمل الطرفان على تسهيل حركة السيّاح خلال الأسابيع المقبلة، بالتزامن مع عودة السياحة الروسية، فضلاً عن السياحة من دول أوروبية وآسيوية ستؤدي إلى رفع نسبة تشغيل الفنادق، بعدما أغلقت فنادق عدّة أبوابها نتيجة ضعف الإقبال، في مقابل ارتفاع كلفة التشغيل خلال الشهور الماضية بسبب الإجراءات الاحترازية.

المعلَن في اللقاءات الإسرائيليّة ــ المصريّة هو الاقتصاد والسياحة والأمن، لكنّ الخفيّ كثير

المُعلَن حتى الآن في اللقاءات هو التعاون الاقتصادي وحركة السياحة والتنسيق الأمني، لكن الخفيّ كثير، وخاصة أن الاجتماعات تأتي بعدما أبدت مصر اعتراضاً على الإسراع في التطبيع بين إسرائيل والإمارات وتبادل الاستثمارات، لتظهر الآن وهي تحاول أن تكون شريكة في هذه الاستثمارات، ولا سيما في مجالات النقل البحري. وفي شأن المسالة الأمنية، تركّزت النقاشات المصرية ـ الإسرائيلية على تعزيز الإجراءات على الشريط الحدودي ولا سيما من ناحية قطاع غزة، والمراقبة البحرية المصرية لبحر القطاع، والتأكّد من انتهاء عمليات التهريب للأسلحة عبر الأنفاق، التي يظنّ الإسرائيليون أنها مصدر السلاح الرئيسي الذي يصل إلى حركة «حماس» في السنوات الأخيرة.

تقرير

لائحة مطالب سودانيّة من القاهرة: لا مواقف بالمجّان

القاهرة ــ **رمزي باشا**

على مدار يومين، زار القاهرة رئيسُ الوزراء السوداني، عبد الله حمدوك، في الأسبوع نفسه الذي زار فيه الرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي، الخرطوم. وتستبق زيارة حمدوك جولة أفريقية لوزيرة الخارجية السودانية، مريم الصادق المهدي، على دول غرب أفريقيا، تعود بعدها إلى القاهرة، قبل أن تُجري جولة أخرى شرق القارة لحصد تأييد أفريقي للموقفَين المصري والسوداني في أزمة «سدّ النهضة»، في مواجهة القرارات الإثيوبية المنفردة في تخزين المياه داخل بحيرة السدّ. والتقى حمدوك السيسي، وتَجدّدت الأحاديث بينهما حول محورَين رئيسيَّين: الأول توحيد وتنسيق المواقف في أزمة «النهضة»، والثاني المساعدات المصرية للشعب السوداني ليس بناءً على الموقف السوداني الداعم في أزمة السدّ، بل «لاعتبارات التاريخ المشترك» كما يؤكد المسؤولون. لكن هذه المرّة، يرغب السودانيون في التأكّد من أن الموقف المصري لن يكون وليد لحظة الضيق التي تمرّ بها القاهرة. أيضاً، يريد السودانيون جدولاً زمنياً للمشروعات التي يجري الاتفاق عليها، إلى جانب سرعة التنفيذ. وما جرى التوافق عليه ارتبط بمحورين: الأول هو رفع قدرات مشروع الربط الكهربائي لإمداد السودان بـ 240 ميغاواط بحلول الصيف المقبل؛ والثاني عقد اجتماعات متعدّدة بين مسؤولي اللجنة الفنية الدائمة السودانية ـ المصرية. كما حصل السودانيون على وعود بمزيد من المساعدات الصحية والاجتماعية، مع جدول زمني لتقديمها بمساعدة من الجيش المصري، على أن يتواصل العمل المصري على تقديم ما يرضي الخرطوم، مقابل تعهّد الأخيرة بمساندة القاهرة حتى النهاية، ما قد يؤشّر إلى عودة وحدة المواقف السياسية بين البلدين، وانتهاء حالة التوتّر التي استغلّتها إثيوبيا لسنوات. وضمن ما طرحه السودانيون نقاط مرتبطة بحلّ ما لم تجرِ مناقشته سابقاً للوصول إلى قواسم مشتركة، وخاصة في ملفّ حلايب وشلاتين.

كذلك، تشكّل، خلال زيارة حمدوك، فريق عمل مشترك للتنسيق والتعامل مع أزمة «النهضة» على مختلف الأصعدة، حتى لو لم ينجح مقترح الوساطة الرباعية

ترغب الخرطوم في جدول زمني للمشروعات وحلّ جذري لملفات عالقة مثل حلايب وشلاتين (أ ف ب)

تستمرّ المفاوضات المصرية ــ السودانية في شأن «سدّ النهضة»، وعلى رغم أن الخرطوم تخشى من تداعيات السدّ وتخزين المياه فيه، إلا أنها ترغب في ضمانات من القاهرة كي لا تستغلّ الأخيرة موقفها لمصلحتها ثم تتخلّى عنها كما حدث في سنوات سابقة

الأخير، فضلاً عن التأكيد أن التوافق المنشود سياسي وليس فنّياً، ما يعني أن الوقت متاح للوصول إلى رؤية كاملة قبل موعد الملء الثاني للخزان في تموز/ يوليو المقبل. وترتبط الأزمة الحالية بنُظُم وآليات ملء السدّ وتشغيله، وتبادل المعلومات والبيانات، إضافة إلى كيفية التعامل مع سنوات الجفاف المتعاقبة، بالتوازي مع غياب الاتفاق حول آلية الملء والتشغيل، علماً بأن المتضرّر الأكبر سيكون سدّ «الروصيرص» السوداني. أيّاً يكن، بات السودان يدرك خطورة «النهضة» الذي سيهدّد الريّ ومياه الشرب والبنى التحتية، وهو ما بدأ الترويج له بالفعل بمساعدة ودعم مصريَّين، وخاصة مع تأكيد الخرطوم أنه لا جدوى من منهجية التفاوض المتبعة سلفاً، الأمر الذي تُعزّزه مصر مع الكونغو، الرئيس الحالي للاتحاد الأفريقي.

في المحصّلة، ترفض القاهرة والخرطوم المحاولات الإثيوبية الحثيثة لربط الاتفاق على البنود الخلافية في مسألة «النهضة» بقضية «تقاسُم المياه»، وخاصة مع الالتزام المصري ـ السوداني باتفاق المبادئ المُوقّع عام 2015، والذي يتمسّك به البلدان أساساً في أيّ مفاوضات مقبلة. ويشدّد الطرفان، أيضاً، على أن حقّ أديس أبابا في التنمية يجب أن يتّسق مع القانون الدولي ومبادئه وتجنّب الإضرار بدول الجوار، ولا سيما مع المخاوف السودانية من أن يؤدي انهيار السدّ في أيّ وقت لاحق بسبب قلّة الدراسات الإنشائية إلى غرق البلاد التي تبعد كيلومترات قليلة عن موقع «النهضة».

أفغانستان

موسكو وأنقرة تتوسّطان لـ«السلام»: استئناف المفاوضات خلال أسبوع

تستمرّ الاندفاعة الدبلوماسية في خرق حالة المراوحة في الملفّ الأفغاني. إذ أُعلن عن موتمرَين ستستضيفهما روسيا وتركيا تباعاً، بمشاركة الولايات المتحدة، في مسعى منهما إلى دفع مفاوضات السلام قُدُماً. وإذ تبدي «طالبان» مرونةً أكبر إزاء الأفكار المقترحة، فإن تلكّؤ حكومة كابول، وتمسُّكها بالوضع القائم، يؤشّران إلى جولات تفاوض طويلة ومعقّدة

تستضيف إسطنبول، في نيسان/ ابريل المقبل، محادثات سلام أفغانية (أ ف ب)

تمضي واشنطن نحو مراجعة شاملة لاستراتيجيتها في أفغانستان، في ظلّ المصاعب الكثيرة التي تعترض طريق السلام؛ فما تمّ التوصّل إليه من تفاهمات ضمن «اتفاق الدوحة»، يجابهه تدهور أمني يعكس التعقيدات التي تعترض الجهود الرامية إلى وقف دوّامة العنف في البلاد. ولَمّا كان السؤال يدور حول الخطط المُنوي اتّباعها من قِبَل الإدارة الأميركية الجديدة لحلحلة الأزمة، بعد الانتهاء من مراجعة الاتفاق الذي وقّعته الإدارة السابقة، جاءت بعض الإجابات في رسالةٍ وجّهها وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، إلى كلّ من الرئيس الأفغاني أشرف غني، ورئيس «اللجنة العليا للمصالحة في أفغانستان» عبد الله عبد الله، يحضّهما فيها على إحياء محادثات السلام، مقترحاً انعقادها في تركيا، وقبول مشروع اتّفاق ينصّ خصوصاً على تأليف «حكومة جامعة» تشارك فيها حركة «طالبان». وعلى رغم وعدها بدراسة الأفكار المطروحة، سارعت حكومة كابول إلى رفض المقترح، كونه يقلّص أمامها هوامش المناورة. وفي ظلّ تصميم الولايات المتحدة على دعم حلّ سياسي «عادل ودائم»، وترحيلها حسم مسألة انسحابها من عدمه إلى ما بعد وضع آلية جديدة للحكم، انضمّت الدول المعنيّة بالملف الأفغاني، وعلى رأسها روسيا، إلى جهود دفع المصالحة الأفغانية قُدُماً.

تبنّت موسكو المقترح الأميركي بتشكيل حكومة أفغانية موقّتة تتمثّل فيها حركة «طالبان»

وفي إطار الاندفاعة الدبلوماسية، تبنّت موسكو المقترح الأميركي بتشكيل حكومة موقّتة تتمثّل فيها حركة «طالبان»، وفق ما جاء على لسان الناطقة باسم وزارة الخارجية الروسية، ماريا زاخاروفا. ورأت هذه الأخيرة أن «تشكيل إدارة موقّتة جامعة سيكون حلّاً منطقياً لمشكلة ضمّ حركة طالبان إلى الحياة السياسية الأفغانية». وجاءت هذه التصريحات قبل أقلّ من أسبوع من انعقاد محادثات في العاصمة الروسيّة يشارك فيها طرفا الأزمة، بحضور عدّة وفود دوليّة، من بينها وفد أميركي، فيما يُنتظر مشاركة كلّ من الصين وباكستان فيها. وحول موتمر الـ18 من آذار/ مارس الذي تستضيفه موسكو، أوضحت زاخاروفا أن قطر ستكون ضيف شرف، وأن المحادثات تهدف إلى «تشجيع المفاوضات بين الأطراف الأفغانيين في الدوحة»، وخفض العنف وإنهاء النزاع المسلّح في أفغانستان، مؤكدة أن الهدف من المؤتمر هو دعم محادثات السلام الجارية في الدوحة والتي لم تسفر عن أيّ تقدّم يُعتدّ به. وسيحضر المؤتمرَ فريقٌ مكوّن من أربعة إلى خمسة أعضاء يمثّلون المكتب السياسي لـ«طالبان» في الدوحة، بحسب ما أفاد به مصدر قريب من الحركة وكالة «رويترز». ووُجّهت دعوات إلى كلّ من الرئيس الأفغاني السابق حامد قرضاي، ونائبه كريم خليلي، وزعيم «الحزب الإسلامي» قلب الدين حكمتيار، فيما أعلن مكتبا أشرف غني وعبد الله عبد الله أن الأخيرَين يدرسان ما إذا كانا سيشاركان في المؤتمر.

وفي موازاة مؤتمر موسكو، تستضيف إسطنبول، في نيسان/ أبريل المقبل، محادثات سلام أفغانية، وفق ما أعلن وزير الخارجية التركي، مولود جاويش أوغلو، الذي أوضح أن المسؤولين الأفغان و«طالبان» وأعضاء فريق التفاوض طلبوا من تركيا من قبل أن تستضيف محادثات، وأن قرارها جاء بعد اقتراح أنتوني بلينكن. ولكنه أكّد أن محادثات أسطنبول «لن تكون بديلاً، إنما ستأتي دعماً» للعملية الجارية في الدوحة، حيث أطلقت مفاوضات سلام في أيلول/ سبتمبر من العام الماضي. وقال: «ما هو هدفنا؟ هو تمديد المحادثات بين طالبان والحكومة (الأفغانية) والتركيز على تحقيق نتائج ملموسة»، مضيفاً أن تركيا تعتبر نفسها «أحد أهمّ الأطراف في قضية أفغانستان»، وأنها تعتزم تعيين مبعوث خاص إلى هذا البلد.

ويأتي المؤتمران في وقت حسّاس بالنسبة إلى حكومة كابول، إذ يواجه أشرف غني ضغوطاً بعد اقتراح المبعوث الأميركي الخاص، زلماي خليل زاد، الأسبوع الماضي تشكيل حكومة انتقالية، وهو ما رفضه الرئيس الأفغاني بشدّة، قائلاً إن الانتخابات وحدها هي التي يمكن أن تفرز حكومة. وفي الاتجاه نفسه، أشار نادر نادري، عضو الوفد التفاوضي الحكومي، إلى أن «الأفغان هم الوحيدون الذين يمكنهم تحديد نوع الحكومة ووسائل تحقيق السلام»، مشدّداً، لـ«فرانس برس»، على أن «جيراننا البعيدين والقريبين يجب أن يحترموا الحقّ السيادي لشعبنا». إلّا أن الرئيس السابق، حامد قرضاي، له موقف آخر؛ إذ أعلن، في مقابلة أجرتها معه وكالة «أسوشيتد برس»، دعمه للمسودة الأميركية لاتفاق السلام بين الحكومة و«طالبان»، معتبراً أن مقترح الولايات المتحدة «أفضل فرصة لتسريع المفاوضات» المتعثّرة، ومؤكّداً أن الأفغان أنفسهم «في عجلة من أمرهم من أجل (تحقيق) السلام»، بعد عقود من الصراع والحرب. ورأى أن «الخطة الأميركية المقترحة تحتوي على نصوص مهمّة يمكن أن تساعد في إحلال السلام في أفغانستان مع (إجراء) بعض التعديلات من قِبَل الجانبين»، معرباً عن أمله في أن «يكون الاقتراح الأميركي بمثابة حافز لكِلا الجانبين لتحقيق السلام، ربّما حتى قبل الأول من أيار/ مايو المقبل». لكن قرضاي حذّر من أنه «في حال انسحاب القوات الأميركية، مطلع أيار، فإن ذلك سيؤدي إلى حالة من الفوضى».

(الأخبار)

فرصة عمل للطلاب

إذا كنت طالباً/طالبة جامعيّاً من أصدقاء «الأخبار»، وتبحث عن فرصة لدخل اضافي او جديد، يهمنا ابلاغك بان إدارة التسويق في «الأخبار» تبحث عن مندوبين/ مندوبات لبيع الاشتراكات .

لمن يهمّه الأمر التواصل عبر البريد الالكتروني
hr@al-akhbar.com
أو الاتصال على الهاتف 01/759500

إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
الأخبار al-akhbar
www.al-akhbar.com
هاتف 01-759500 فاكس 01-759597

تقرير

بايدن يُطبّق «رؤى» بومبيو: مزاحمة الصين على الجبهات كافة

يتّضح، يوماً تلو آخر، النهج الذي ستتبعه إدارة الرئيس الأميركي، جو بايدن، تجاه الصين، والذي يتشابه إلى حدّ كبير مع رؤية الإدارة السابقة، مع فارق السعي إلى تقوية التحالفات في أوروبا وآسيا، لتشكيل جبهة موحّدة، كان أوّل مَن دعا إليها وزير الخارجية السابق، مايك بومبيو، في مواجهة الصين وروسيا. هذه المساعي تُرجمت في القمة الرباعية «كواد» التي جمعت بايدن، افتراضياً، إلى رؤساء وزراء: اليابان يوشيهيدي سوغا، الهند ناريندرا مودي وأوستراليا سكوت موريسون، والتي شكّلت مناسبة لبدء الرئيس الديموقراطي هجوماً على بكين، قائلاً، في افتتاح اللقاء، إن واشنطن «مصمّمة على العمل مع جميع حلفائنا الإقليميين لضمان الاستقرار».

وهذه هي المرّة الأولى التي يجتمع فيها التحالف الرباعي على أعلى مستوى منذ أن تأسّس في العقد الماضي، لمواجهة صعود الصين. ومن باب زيادة بكين لهباتها من شحنات اللقاحات المضادّة لفيروس «كورونا» إلى دول في أنحاء العالم، ولا سيما في جنوب شرق آسيا، بدأ الرئيس الأميركي هجومه على منافسته. وإذ أكّد، حتى الآن، التركيز على توفير اللقاحات للأميركيين، بدا أنه يزاحم الصين في توزيع «الهبات». ومن هنا، ارتأى بايدن أن يطلق «شراكة جديدة طموحة لتعزيز إنتاج اللقاحات لمصلحة العالم بأسره، ولا سيما في منطقة المحيطين الهندي والهادئ»، وهو الأمر الذي وصفه مسؤول أميركي كبير بأنه «يأتي استجابة للنقص الحادّ في جنوب شرق آسيا»، مضيفاً إن «أدوات مالية معقّدة من شأنها أن تسمح بزيادة كبيرة جداً وجذرية في قدرات إنتاج اللقاحات، تصل إلى مليار لقاح في عام 2022».

تعهّد بايدن بإطلاق شراكة جديدة لتعزيز إنتاج اللقاحات، ولا سيّما في جنوب شرق آسيا

وعلى رغم أن المسؤولين الأربعة لم يأتوا على ذكر الصين بشكل صريح خلال اللقاء، لكنهم أشاروا إليها بلغة دبلوماسية، إذ أعلن عن نقاشات حول «الأمن البحري»، وكيفية الحفاظ على منطقة المحيطين الهندي والهادئ «حرّة ومفتوحة». وفي إشارة واضحة إلى «الترهيب» الذي يتّهم بكين بممارسته في بحر الصين الجنوبي، قال بايدن: «نجدّد التزامنا ضمان سيادة القانون الدولي في منطقتنا، وإعلاء القيم الكونية بعيداً عن أيّ إكراه». وفي الإعلان المشترك، تعهّد القادة الأربعة بـ«دعم دولة القانون، وحرية الملاحة، والسلامة البحرية وخاصة في بحزي الصين الجنوبي والشرقي»، في انتقاد واضح لبكين. من جهته، اعتبر موريسون أن اجتماع «الديموقراطيات» الأربع يمثّل «فجر عهد جديد» في المنطقة، في حين أكّد مودي أن الرباعي سيبقى «ركيزة مهمّة للاستقرار». وعقب الاجتماع، أعلن مستشار الأمن القومي الأميركي، جايك سوليفان، أن بايدن ناقش اليوم التحدّيات الصينية مع الزعماء الثلاثة، مضيفاً إن القمة «لم تركّز على الصين، لكنها تطرّقت إلى حزية الملاحة في كلّ من بحر الصين الشرقي والجنوبي».

ويُعتبر هذا اللقاء الأوّل ضمن مجموعة لقاءات مرتقبة للغاية نفسها، وهادفة إلى توثيق التنسيق بين الولايات المتحدة وحلفائها، لتشكيل جبهة موحّدة في مواجهة الصين؛ إذ سيُجري وزيرا الخارجية والدفاع الأميركيّان، أنتوني بلينكن، ولويد أوستن، زيارة مشتركة لكلّ من اليابان وكوريا الجنوبية الأسبوع المقبل، يستتبعها أوستن بزيارة الهند، خدمةً للهدف نفسه. ومن بعدها، سيلتقي بلينكن وسوليفان، في الاسكا، مسؤولين صينيين لإجراء محادثات، كانت إدارة بايدن قد وعدت بأن تكون للتعبير «صراحة» عن مخاوف الولايات المتحدة. وبعد ذلك، سيجتمع الرئيس الأميركي ورئيس الوزراء الياباني في البيت الأبيض الشهر المقبل.

إلى ذلك، وبعد نشر وسائل إعلام يابانية إجراء طوكيو وواشنطن دراسة لإمكانية نشر صواريخ أميركية متوسّطة المدى في اليابان لكبح التهديد الأمني الذي تشكّله روسيا والصين في المنطقة، حذّرت وزارة الخارجية في موسكو من أن هذه الخطوة قد «تثير جولة جديدة من سباق التسلّح لا يمكن التكهّن بنتائجها»، معتبرة على لسان الناطقة باسمها، ماريا زاخاروفا، أن «نشر هذا النوع من الصواريخ في منطقة آسيا والمحيط الهادئ عامل مزعزع للاستقرار الإقليمي والدولي». وأكدت الناطقة أن بلادها «ستتّخذ إجراءات لضمان أمنها القومي إذا أقدمت واشنطن على هذه الخطوة».

ناقش بايدن التحدّيات الصينية مع زعماء الهند واليابان وأوستراليا (أ ف ب)

استراحة

كلمات متقاطعة 3691

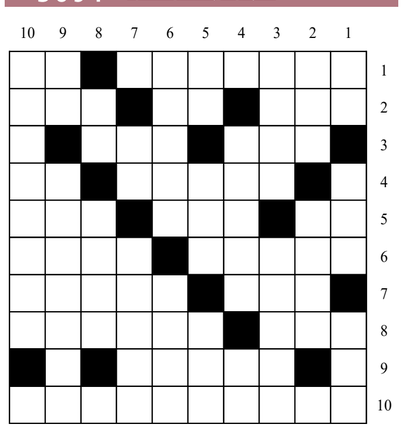

افقيا

1- شاعر عباسي – إسم موصول – 2- من مواد البناء – هاج الدم – مدينة فرنسية – 3- جال في البلاد قاصداً التنزه – من مشتقات العنب – 4- دكاكين بيع الخمر – مادة قاتلة – 5- وعاء الخمر – من كان من السلالة النبويّة – إلهي – 6- مُحكم الربط – 7- خطا في التصنيع – رديّ على السؤال – 8- ضرب بالسوط – فرض المؤمن – 9- مدينة في الصين – 10- أحد أحياء القاهرة القديمة يتمتع بجذب سياحي كبير من أعرقِ أسواق الشرق

عمودياً

1- مقياس مساحة – أبو البشرية – نوع من النسيج – 2- مسّ – نوقد النار – 3- قائد السفينة – ملكة صور الأسطورية – 4- إسم يُعرَف عن الكومبيوتر باللغة العربية – للنداء – 5- صاح التيس – حاجةٌ بالأجنبية – أسرة – 6- عاصمة عربية – مهنة من يشحذ السكاكين – 7- قرّر الأمر –إرسال بضاعة الى الشخص المطلوب – 8- أكل الطعام – فتيان بالغة – 9- نوتة موسيقية – حقبة مشهورة في تاريخ اليهود زمن نبوخذ نصّر – 10- من أشهر أسواق دمشق

حلول الشبكة السابقة

افقيا

1- أخسر – كنار – 2- رص – بريجنيف – 3- سرب – جالد – 4- وفا – بيات – 5- واترلو – رون – 6- طلاق – عكا – 7- اجنّ – يدلّ – خم – 8- لف – بجّ – بيزا – 9- ياهاتا – نعم – 10- سفر برلك – ة ة

عمودياً

1- ارسطو طاليس – 2- خصر – الجفاف – 3- بوتان – هر – 4- رب – فزق – باب – 5- رجال – بجتر – 6- كيا – وعد – ال – 7- نجلب – كلب – 8- اندورا – ين – 9- ري – او – خزعة – 10- فاتن حمامة

sudoku 3691

2		1	9		7	3		
	3				8	2		
	8				5	4		
5				6				1
9		3				5		2
7				3				6
		5	7		6		2	
		4	1				5	
	2			5		8		9

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3690

6	9	3	8	7	5	2	1	4
1	2	4	3	9	6	5	7	8
7	8	5	1	2	4	3	9	6
5	1	6	9	4	2	7	8	3
8	4	2	7	1	3	6	5	9
9	3	7	6	5	8	4	2	1
3	5	1	4	8	7	9	6	2
2	6	9	5	3	1	8	4	7
4	7	8	2	6	9	1	3	5

مشاهير 3691

صناعي إيطالي شهير (1921- 2003). يُعتبر المساهم الرئيسي في شركة فيات للسيارات. كان أبرز شخصية في العالم وأغنى رجل في تاريخ إيطاليا الحديثة

10+8+1=9 = مدينة بلجيكية ■ 3+4+2+7 = صوت الوجع ■ 6+5+10+11 = نهر في آسيا الوسطى

حل الشبكة الماضية: **خليك النعيمي**

إعداد
نعوم مسعود

الأخبار
al-akhbar
السبت 13 آذار 2021 العدد 4294

رحيل

«المؤتمر القومي العربي» نعى أحد أبرز مؤسّسيه

خير الدين حسيب... النهضوي المقاوم إلى النهاية

خسر التيار القومي النهضوي، كما خسرت الثقافة العربية، إبداعاً ونشراً وفكراً سياسيّاً، إحدى قاماتها المميّزة وأصواتها الفريدة، مع انطفاء خير الدين حسيب أمس في بيروت عن عمر يناهز الـ 92 عاماً. وقد نعى «المؤتمر القومي العربي» أمينه العام المؤسّس، «أحد أبرز مؤسّسي «مركز دراسات الوحدة العربيّة» وراعي تجربته المهمّة منذ عام 1975 حتّى استقالته من رئاسة مجلس أمنائه وإدارته العامة عام 2017».

وقد جاء في بيان الأمانة العامة لـ«المؤتمر القومي العربي»، أن الدكتور خير الدين حسيب (1929 – 2021)، هو «مطلق المشروع النهضوي العربي مع العديد من مفكّري الأمّة ومثقّفيها من منابت فكرية وسياسية متعددة في 22 شباط 2010، وأحد مؤسّسي المؤتمر القومي ـ الإسلامي، والمنظمة العربية لحقوق الإنسان، وجمعية الاقتصاديين العرب، وراعي العديد من الجمعيّات والمبادرات القوميّة المتخصّصة كمخيّمات الشباب القومي العربي، وندوات التواصل الفكري الشبابي العربي، والجمعيّة العربيّة لعلم الاجتماع وغيرها».

ولد خير الدين حسيب في مدينة الموصل، وتلقّى علومه الابتدائية والثانوية في مدارسها، والجامعية في جامعة بغداد. وبسبب تفوّقه الدراسي حاز منحة لدراسة المالية في جامعة كامبريدج البريطانية، حيث نال شهادة الدكتوراه، وقام بدور في قيادة الحركات الطلابية العربية، ليعود إلى بلاده مدرّساً في جامعة بغداد عام 1963، ثم حاكماً للبنك المركزي العراقي عام 1964. وأخذ على عاتقه إرسال قرض إلى مصر بعد حرب 1967.

بعد مغادرته العراق، عمل مديراً لمنظمة الإسكوا، ثم عمل في أواسط السبعينيات مع كوكبة من الشخصيات العربية الوحدوية على تأسيس «مركز دراسات الوحدة العربية»، حيث اختار خير الدين حسيب أن يبقى عاملاً طيلة الحرب اللبنانية، يصدر الكتب ويعقد الندوات، ويصدر مجلته الشهرية «المستقبل العربي» من دون انقطاع. وتقديراً لدوره الثقافي في لبنان، وبتوصية من الرئيس سليم الحص، منحه الرئيس ميشال سليمان الجنسية اللبنانية، فكان هذا خير إنصاف، لأنّ حبّ هذا العروبي للبنان لا يقلّ عن حبّه للعراق.

ويذكّر بيان الأمانة العامة لـ«المؤتمر القومي العربي» بدوره الكبير، «لدى تعرّض العراق للحصار منذ عام 1990، من خلال الهيئات الشعبية العربية، في تجنيد أوسع الطاقات العربية والعالمية انتصاراً للعراق في مواجهة الحصار، ثم خلال الحرب، ثمّ تحت الاحتلال». كما ساهم في دعم المقاومة العراقية، إضافة إلى دوره الملحوظ في دعم المقاومة الفلسطينية واللبنانية حتى الرمق الأخير.

أدّى خير الدين دوراً مهمّاً في عدد من الملفّات القومية، ولا سيّما على مستوى العلاقات العربية ـ العربية، «وخصوصاً في السعي لتحقيق لقاء بين سوريا والعراق قبل الاحتلال. وكانت تربطه علاقات قوية بأبرز الزعماء العرب، وخصوصاً الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الذي كان يعدّ إحدى الشخصيّات العربيّة المقرّبة إليه. وكذلك كانت له علاقات بالرئيس السوري حافظ الأسد، والرئيس العراقي صدّام حسين، والرئيس الجزائري هواري بومدين، والرئيس الليبي معمر القذافي، وحاكم الشارقة الشيخ سلطان القاسمي وكان معروفاً بجرأته وصراحته في لقاءاته مع الزعماء، كما في إطلالاته الإعلاميّة وتحرّكاته السياسيّة...».

ولا يمكن لأيّ مؤرّخ لتاريخ الحركة القوميّة العربيّة المعاصرة منذ سبعينيات القرن الماضي، أن ينكر الدور الريادي والتأسيسي الكبير للدكتور خير الدين حسيب (أبو طارق) الذي له في كل قطر عربي مكانة وعلاقات وصداقات، وله في كل مجال من مجالات الحياة العربية حيّز بارز.

«السيرك السياسيّ» صار أونلاين

في عام 2017، قدّم «مترو المدينة» عرض «السيرك السياسي» خلال فعّاليات «مهرجانات بيت الدين الدولية». واليوم، يمكن للراغبين الاستمتاع به عبر منصة «أراتوك» لغاية 22 آذار (مارس) الحالي. أكثر من 60 فنّاناً في استعراض غنائي ينقل المشاهدين إلى عوالم السيرك والفانتازيا لمهرجان انتخابي فريد من نوعه، حيث تختلط فنون السيرك والمسرح والسحر والموسيقى والغناء مع فنون السياسة. العرض من تأليف وإخراج وكلمات هشام جابر (الصورة) الذي تشارك التلحين مع زياد الأحمدية. علماً بأنّ الأخير اهتمّ بالتوزيع الموسيقي في العمل الذي شارك فيه خالد صبيح ونعيم الأسمر ونضال أبو سمرا، فيما قاد الأوركسترا المايسترو لبنان بعلبكي.

«السيرك السياسي»: لغاية الإثنين 22 آذار ـ منصة «أراتوك» (الرابط متوافر على موقعنا)

«حجر» هدى بركات: عن حرب لا شفاء منها

على مدى ثلاث ساعات، ستفتح مؤسسة «مكتبجي» الأردنية النقاش في 26 آذار (مارس)، حول رواية «حجر الضحك» (-2005دار النهار) للروائية اللبنانية هدى بركات (الصورة). الجلسة النقاشية التي ستُعقد على «مايكروسوفت تيم» تديرها رانيا العمري، وستقوم بتحليل العمل الروائي، الذي تجري أحداثه إبان الحرب الأهلية في لبنان، مع غوص الكاتبة في شخصية البطل المثلي «خليل» والتعمق في ما يشعر به ويمر به من محن، عاكساً بذلك معاناة الشباب في تلك الآونة وواقع الرواية المستوحى من نسيج الحياة اليومية اللبنانية.

نقاش رواية «حجر الضحك»: س:16:00 بعد ظهر 26 آذار (مارس) ـ رابط التسجيل متوافر على موقعنا

الطبيب عبد العزيز اللبدي شاهدٌ على مجزرة تلّ الزعتر

يوم الثلاثاء المقبل، يحلّ الطبيب الفلسطيني عبد العزيز اللبدي ضيفاً على اللقاء الختامي لسلسلة «تل الزعتر» التي ينظمها مركز «خليل السكاكيني الثقافي». الطبيب الذي أصدر عام 2016 كتاب «حكايتي مع تل الزعتر» (منشورات ضفاف)، كان قد التحق بالثورة الفلسطينية وعمل في «الهلال الأحمر»، وتوجه بطلب منه الى مخيم «تل الزعتر» عام 1975، وعمل في مستشفاه وأسهم في تطويره لتلبية الاحتياجات الصحية لأهل المخيم. وقد عايش مع زملائه حصار المخيم وشهدوا على المجازر التي حلّت بأهله وعلى سقوط المخيم عام 1976. اللقاء الذي ستديره لبنى طه، يتحدث فيه اللبدي عن مسيرته المهنية مع «منظمة التحرير الفلسطينية» في سبعينيات القرن الماضي، ومساهمته الطبية في مخيم «تل الزعتر» أثناء الحصار كمؤرخ لهذا المكان وشاهد على المجزرة. في اللقاء أيضاً، ستُتاح مشاهدة فيلم «تل الزعتر» الذي أنتجته «مؤسسة السينما الفلسطينية» عام 1977، بالشراكة مع «الحزب الشيوعي الإيطالي». الفيلم الذي تعرّض للسرقة، وفُقدت نسخته الإيطالية، انبعث أخيراً بمساعدة المخرجة الألمانية مونيكا ماورور، عندما وجدت نسخته الإيطالية والتسجيل الصوتي الأصلي للفيلم، ما أتاح فرصة إعادة صناعته وترميمه.

الندوة الختامية لسلسلة «تل الزعتر»: 18:00 بعد ظهر الثلاثاء على تطبيق «زوم» ـ رابط التسجيل متوافر على موقعنا

في ذكرى استشهاده... باسل الأعرج «مشتبكاً»

في الذكرى السنوية الرابعة على استشهاد المناضل باسل الأعرج (1984-2017)، تنظم «جمعية شباب» (من لبنان)، و«رابطة بيت المقدس لطلبة فلسطين» (الإطار الطالبي لحركة الجهاد الإسلامي)، اليوم ندوة إلكترونية، بعنوان «المثقف المشتبك». الندوة التي ستمتد على ساعة ونصف ساعة، يشارك فيها من فلسطين، عضو المكتب السياسي في «حركة الجهاد الإسلامي» خالد البطش، والذي سيتحدث عن المقاومة وجهوزيّتها في وجه الاحتلال الإسرائيلي، وإلى جانبه، يشارك من بيروت، المتخصّص في الشؤون الإسرائيلية حسن حجازي. يتناول الأخير ردة الفعل الإسرائيلية على تهديدات المقاومة.

ندوة «المثقف المشتبك»: 19:00 مساء اليوم، الليلة بتوقيت بيروت على تطبيق «زوم»

الأخبار
al-akhbar

السبت 13 آذار 2021
العدد 4294 السنة الخامسة عشرة
Samedi 13 Mars 2021 nº 4294 15ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

يا جَسي

كلّ النصوص تقود إلى غانا

تتذكّر يا جسي (1989) «أغنية سليمان» لتوني موريسون، كواحدة من اللحظات الحاسمة التي دفعتها إلى الكتابة. بعد قراءة ذلك العمل بسنوات، أبصرت باكورتها «العودة إلى الوطن» (2016) النور، كما لو أنّها زيارة أخرى أسدتها إلى غانا بعد رحلتها إليها سنة 2009، والتي ألهمت روايتها. جابت جسي تلك الطرقات والمحيطات مراراً، منذ أن انتقلت مع عائلتها باكراً من بلادها إلى أميركا، حيث لا تزال تعيش الآن. وإذا كانت النصوص تتوالد إلى ما لا نهاية، فإن الجغرافيا نفسها لا تكفّ عن بعث الصدمات الأولى. بالنسبة إلى الروائية الغانية الأميركية، فإن تلك الصدمة تقبع على سواحل أفريقيا الغربية، من حيث أبحرت السفن الأولى المكتظّة بالعبيد، وحيث وقفت بنفسها قبل سنوات أمام سجن قصر كيب كوست في بلادها. محطّات تاريخية ثقيلة حملتها معها الكاتبة الشابة في الرواية التي صدرت ترجمتها العربية بعنوان «عودة الروح» (دار كلمات للنشر – ترجمة أحمد حسن المعيني). هنا، تبني ملحمة عائلية وهوياتية وعرقية طوال قرنين، تعود فيها إلى سواحل غانا القرن الثامن عشر، ومنها إلى أميركا، ومنها إلى غانا مجدّداً.

الرواية التي لفتت النقاد منذ البداية، منحت صاحبتها الشابّة مجموعة من الجوائز منها «جائزة pen/ همينغواي لأفضل باكورة روائية»، مقدّمة صوتاً أدبياً معاصراً استثنائياً. برشاقة سردية، تجاوزت جسي السنوات الطويلة الشاقّة. شجرة العائلة الطويلة التي تطالعنا في الصفحة الأولى من الرواية، هي أكثر من جذور تتحدّر منها مع الأختين إفيا وإسي ومصيريهما المنفصلين. إنها ميراث محتّم من البحث عن الهُوية العائلية والوطنية، على ضوء الاستعمار، والعبودية، لتصلها بحركة الحقوق المدنية في أميركا الستينيات، والعرقية المعاصرة. مع هذا الطموح الروائي الهائل بسرد قصّة آلاف الأرواح، لم تخفت القصص والمعاناة الفردية في الرواية. إذ حافظت جسي بحرص على وقع تلك الصدمة الاستعمارية الأولى، حين تضعها في عينَي الطفلة إفيا وهي تحدّق بحذر بالجسد الممتلئ وبالوجه الأحمر لأوّل رجل أبيض تراه.

شجرة العائلة لا تزال حاضرة في رواية جسي الجديدة Transcendent Kingdom التي صدرت أخيراً في بريطانيا (بنغوين بوكس)، بعدما كانت قد نُشرت في أميركا. غير أن الفارق يكمن في العائلة نفسها، التي تقلّصت من أربعة أفراد إلى اثنين هما طالبة علم الأعصاب غيفتي، ووالدتها المصابة بالاكتئاب. توفي الأخ نانا بجرعة زائدة من الهيروين بعدما أدمن جسده مضادات الألم، فيما استسلم الأب أخيراً إلى رغبته الملحّة بالعودة إلى غانا. لا شكّ في أن توصيف الرواية الجديدة على أنها «رواية عن معنى أن تكون أسودَ في أميركا القرن الحادي والعشرين» سيكون مختزلاً، ومن شأنه أن يتغاضى عن الكثير من الملامح السردية والفنية لهذا العمل. للمفارقة، فإن هذا التوصيف الجاهز، تواجهه جسي على لسان بطلتها غيفتي التي تتوجّس من أن تُلقّب بالعالمة الأفريقية، فيما تطمح فقط بلقب العالمة. سردياً، تراوح أحداث الرواية الثانية بين الماضي الحاضر. إنها ذاكرة قريبة لأفراد عائلة أفريقية مهاجرة تعيش في ألباما في وسط مسيحي. تضع جسي سبلاً كثيرة أمام بطلتها من أجل إخماد الألم واحتوائه، ألم الخسارة والهجرة الأولى والموت والاكتئاب الذي تقترحه أميركا كاحتمال آخر بوجه أبطالها، لتتقفّى الرواية بذلك السعي المتواصل للتعامل مع الخسارة والفقد أكان عن طريق العلم أو الإيمان.

حوار

مجموعته الجديدة تخيّم عليها العزلة والطقوس الجديدة التي فرضها كوفيد 19

جودت فخر الدين: حين يمضي الوباء...

أكثر من عزلة، أبعد من رحلة: هي رحلة شاعر في الأقاصي المنهمرة. يعيد تشكيل العالم بالكلمات، لترتفع راية الحب والحياة ويحمل ذلك «اللهب المزدوج» على قول أوكتافيو باث. يخرج الشعر من ثوب الكلمات عند جودت فخر الدين (1953). ويتحول إلى كينونة كأنّ الشعر لم يعد يتطلّع إلى أن يقول، بل إلى أن يكون ويصير علامة على التوحّد مع الوجود من خلال العلاقة الجدلية معه، القبض والبسط، الثبات والتلاشي. يمارس صاحب «حديقة الستين» و«منارة للغريق» لعبته الأثيرة بين الغريق والضوء، وبين الشجرة والظل، ويطرح استلته الصعبة من قلب العزلة: «في حجرتي استخرج العالم من محنته/ اصنعه حرّاً على شاكلتي/ ارثي لنيسان واستهدي به/ اسأله كيف ستأتي بعد عام؟». منذ «اقصّر عن حبّك» (1979) و«أوهام ريفية» (1980)، سمعنا نبرة القلق عند جودت فخر الدين، ذلك القلق الذي يتبدّى كشرط وجودي لكل تجربة شعرية، يرفد التأمل والحزن ويستنطق الكائنات «هذا القلق هو الثابت الوحيد في تجربتي الحياتية والشعرية، هو الذي يجعل التغيّر أو التطوّر سمة بارزة في كتاباتي، على مدى مسيرتي الشعرية». حول مجموعته الشعرية الجديدة «أكثر من عزلة، أبعد من رحلة» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) والعزلة في زمن الوباء والكتابة والشعر والعلاقة مع التراث، كان هذا الحديث الشامل للشاعر مع «كلمات»

تقديم وحوار **محمد ناصر الدين**

■ «أكثر من عزلة، أبعد من رحلة» عنوان مجموعتك الشعرية الجديدة. ما ولادة هذه المجموعة؟

ـ ظروف متنوعة. ولكنّ أبرزها ما فرضه علينا وباء كورونا من تباعد وعزلة. معظم القصائد في مجموعتي الجديدة كتبتها في خلال عام 2020. ولكنّ فيها أيضاً قصائد كتبتها قبل ذلك، أي قبل انتشار الوباء. وبمكنني القول، بناءً على سؤالك، إن العزلة التي فرضها الوباء، والتي استمرت عاماً كاملاً حتى الآن، حفّزتني على الكتابة، وجعلت الشعر يأتي لي على نحو لم أعهده كثيراً من قبل. ربما هي حالات وطقوس جديدة دفعتني العزلة إلى تدبّرها أو اجتراحها. ولكن، هنالك في الشعر ما «يأتي» بلا تدبّر أو مكابدة، ولعلّه أهمّ ما في الشعر وكتابته.

■ هل العزلة شرط ضروري أو وجودي للشعر؟ أم هي عزلة يفرضها الوباء؟

ـ العزلة ليست شرطاً ضرورياً. ولكنها قد تكون عاملاً محفّزاً. والعزلة قد تكون قسرية، كما هي الحالة الآن مع انتشار الوباء. وقد تكون اختيارية، تلك التي يميل إليها الشاعر بحثاً عن الرحابة والنقاء وصفاء الذهن. ونحن اليوم في ظرف استثنائي جداً. فما نجرّبه مع الوباء لم نجرّبه من قبل. ويبقى لكل شخص «منعزل» أن يتعامل مع عزلته بطريقته الخاصة. والشاعر قد يكون أبرع من يحوّل العزلة إلى فرصة، بل إلى فرص للتأمل والبحث والقراءة والكتابة. وهذا ما يحصل معي في تجربتي الحالية. لقد فتحت لي هذه التجربة آفاقاً بعيدة للنظر، وإعادة النظر، والتأمل في ما يعني وجودنا، على المستويَين الخاص والعام.

■ «في حجرتي أستخرج العالم من محنتهِ/ أصنعه حرّاً على شاكلتي/ أرثي لنيسان وأستهدي بهِ/ أسأله كيف ستأتي بعد عام؟». تقول في قصيدة عنوانها «جلسة في بهو نيسان الجديد». هل في الشعر خلاص العالم وحريته ومراثيه وأغانيه؟ لماذا يصنع الشاعر من «غرفته» عالماً بديلاً؟

ـ في الشعر خلاص الشاعر على الأقل. فكيف يحيا الشاعر إذا لم يصنع في «غرفته» عالمه الخاص؟ غرفة الشاعر (أو عالمه) هي اللغة الخاصة به. هي اللغة الشعرية التي يرى بها إلى العالم، ويحاوره، ويرثيه، ويغنيه، ويحاول تحريره، ودائماً بعيد ابتكاره. في الشعر وطقوسه، يلتقي الشاعر بحريته وجهاً لوجه. وبهذا يأتوهّم تحقيقاً لنوعية الوجود الذي يطمح إليه. يناى الشاعر إلى عالمه الخاص، إذْ يجابهه الواقع ببشاعته وإسفافه، وأحياناً بوحشيته. هكذا يحاول أن يصنع خلاصه الفردي، ويقترح على العالم من حوله قِيَماً جديدة. لعله يجذبه، ولو قليلاً، إلى القيم الشعرية السامية.

■ القصيدة الثانية في المجموعة عنوانها «أبي وأنا». يستحضر بعض الشعراء الأب ليقتلوه بصيغة رمزية فرويدية. ويشبّه البعض الأب بالتراث العربي الضارب في التاريخ. هل ترتاح لهذه الفكرة؟ هل يمكننا عند الكتابة الشعرية أن نفلت من هذا «الأب»، من دون أن يحاصرنا في جسد الكتابة وروحها، لو اتفقنا على التشبيه؟

ـ الصراع مع الأب قد ينتج الصداقة، بدلاً من أن يؤدي إلى قتل الأب بالمعنى الفرويدي. وهذا في رأيي هو الصراع المطلوب والبنّاء مع التراث، الذي قد يصح تشبيهه بالأب. وربما هذا المفهوم للصراع هو الذي قصده الشاعر ت. س. إليوت، أحد روّاد الحداثة الشعرية في العالم، عندما قال بأن الشاعر المجدّد هو الذي يمتلك الإحساس التاريخي بتراثه. وهو أيضاً، بحسب إليوت، الشاعر الذي تجد في شعره نكهة أسلافه. إذاً، نحن ندخل في صراع مع تراثنا لكي نتجاوزه نحو قيم نبتكرها. ولكنّ هذا التجاوز ينبغي أن ينطلق من استيعاب وفهم لهذا التراث، أي من حوار معه. وفي هذا منشأ الصداقة بيننا وبين تراثنا، الشعري منه وغير الشعري. في قصيدتي «أبي وأنا»، عبّرتُ عن مفهومي هذا، للصراع الذي ينتهي بالصداقة. وهذا المفهوم جسّدته علاقتي بأبي، الذي توفي قبل عشر سنوات، والذي كان شاعراً تأثرت به. فهو الذي جعلني أنشأ على حب اللغة، نتيجة شغفه بها واشتغاله بقضاياها. وما الذي يقود إلى حب الشعر أكثر من حب اللغة؟

■ هناك تأمل شعري في الوباء، في أكثر من نص، ومعجم خاص بهذا الوباء، يفرض نفسه على القصائد. كيف تصف تجربتك شعراً وطقوساً وتأملاً في زمن كوفيد ـ 19؟

ـ كان لا بدّ من مفردات خاصة بظروف الحجْر، أو العزلة. وكان لا بدّ لهذه المفردات من الدخول في القصائد التي كتبتها في عام 2020. وأهم من المفردات، الحالات التي نشأت عن تلك الظروف، وهي حالات أنتجت طقوساً جديدة. وقد عبّرت عن هذا كلّه في ما كتبته، وخصوصاً في القصائد التي حملت عنوان «أكثر من عزلة»، ومنها واحدة بعنوان «مجهر»، تشير إلى انتباهاتي المستجدة، حيال تفاصيل في حياتي اليومية. لم أكن أعيرها اهتماماً. كما تشير إلى طقوسي التي استجدّت بسبب الحجْر، والتي رحتُ أفُّها، وبتُ أشعر بأنني قد أتمسك ببعضها بعد انحسار الوباء. قصيدة «مجهر» تنتهي على النحو الآتي: «ربما حين يمضي الوباء/ سأبقى على ما تعوّدته من طقوس خلال الوباء/ لأني تعلمت أن أتمسك أكثر من قبل بالوقت/ أن أتفحصه جيداً/ أن أرى العمر منكمشاً جامداً في هنيهاته العابرة».

■ «عندما يتأتّى لي الشعر» عنوان إحدى القصائد. متى وكيف يتأتى الشعر؟ هل «من جهة أخرى» يأتي منها الشعر؟ هل هي لحظة حضور وتجلٍّ؟ فيها كما تقول: «تحضرني الكائنات لأنصحها، وأميّز ما بينها، وأحدّد في طيّها جوهراً أو غرضاً».

ـ لا يمكن للشاعر أن يحدّد لحظةً لكتابة الشعر، وإنما يمكنه أن يعمل على استدراج هذه اللحظة، أن يهيّئ لها، أو لقدومها. وكيف للحظة الكتابة الشعرية التي تتميز بكونها بارقة، تلقائية وخاطفة، أنْ تكون في الوقت نفسه نتاج تدبّر أو تهيئة أو استدراج؟ هذا هو الشأن مع الشعر، أو بالأحرى مع كتابة الشعر، التي هي لعبٌ على المتناقضات، أو جمْعٌ بينها، أو تأليف لها. فالتناقض هو من طبيعة العناصر التي تدخل في تركيب العمل الشعري بمختلف مستوياته. وأول هذه العناصر المفردات، فالمفردة أو الكلمة هي لقاء بين محسوس ومجرّد (لفظ ومعنى). واللحظة الشعرية، لحظة الكتابة، لها تناقضاتها التي تنتجها وتؤدي إلى تجليها. وقد أشرتُ إلى وجه من وجوه التناقض فيها «العفوية والتدبر». وهنا تحضرني كلمة لأحد المنظرين الغربيين يقول فيها إنّ العبارة الأولى في القصيدة تأتي الشاعر كمنحة إلهية أو سماوية. وكأنه يريد القول إن الشاعر لا يعرف كيف تبدأ القصيدة لديه، أي أنه لا يعرف متى تحين لحظة الكتابة. ولكنني أعود إلى القول إن هذه اللحظة لن تأتي إذا لم يفعل الشاعر شيئاً في سبيلها، أي في التهيئة لها. وهنا تدخل طقوس الشاعر، طقوس عيشه وتفكيره وحبكه... وغير ذلك من وجوه التأمل والتصوّر والملاحظة والتخيّل. وفي رأس هذا كله، العلاقة

> **ت. س. إليوت، أحد روّاد الحداثة في العالم، قال بأن الشاعر المجدّد هو الذي يمتلك الإحساس التاريخي بتراثه**

باللغة. فالشاعر بمعنى من المعاني كائن لغوي يشعر ويفكر ويتصوّر في داخل اللغة. وهي بالنسبة إليه ليست وسيلةً، بل هي غاية. هي ذاتٌ ملتبسة بذات الشاعر، تشعر وتفكر وتتصوّر.

■ «دارتِ الأرضُ كثيراً / لَهَت الشمس بها عبر الدهورْ/ دوّختْها بين ليل ونهار/ لوّحتْها / لوّنتْها /علّقتْها بين موتٍ وحياةْ / وهي ما زالت تدورْ» تتناللوس (إله الموت) في الأساطير الإغريقية هو ظل إيروس (إله الخصوبة والحياة). هل الشعر هو بمثابة جواب على الموت؟ أم أن عبثية الدوران تطحن كل شيء، حتى الشعر؟

ـ في المقطع الذي اخترتَه بدايةً لسؤالك، وهو مقطع من قصيدتي «شكوك» في المجموعة الجديدة، مواجهة لعبثية الدوران، دوران الأرض، بعبثية شعرية إذا صحّ التعبير. فالإحساس لدى الشاعر بعبثية الوجود يجعله أحياناً يُسْقط إحساسه هذا على بعض الكائنات في الطبيعة. والعبثية الشعرية التي ذكرتَها قد تكون نوعاً من الدونكيشوتية. فالشاعر يبحث عن طريقته في مواجهة الموت، أو في مواجهة الزمن وجريانه الذي لا يرحم. ومن أجمل التجارب في هذا المجال تلك المواجهة التي خاضها المتنبي مع الدهر (أطاعن خيلاً من فوارسها الدهر)، والتي انتهت بالشاعر إلى تصوّر الدهر عاملاً في خدمته، أي في خدمة الشاعر (إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً). إذاً، يواجه الشاعر عبثية الوجود بعبثية مماثلة. هكذا يحوّل الشعر الإحساس بالعبث، والمواجهة الدونكيشوتية مع الزمن والموت، إلى نوع من الخلاص.

■ يحضر الهاجس وكذلك تحضر الشكوك والوساوس في بعض عناوين القصائد. هل يقين الشعراء، صعب؟ هل نحن أمام قلق وجودي أو معرفي؟

ـ القلق هو السمة الأساسية لكل باحث عن المعرفة. ولذلك هو عنصر من عناصر الطبيعة البشرية. فالإنسان بطبيعته يسعى إلى المعرفة، وكلما سعى إلى المزيد منها ازداد شعوره بالافتقار إليها. فالقلق إذاً هو المنطلق الأول بين منطلقات المعرفة أو البحث عنها. والمعرفة في الشعر تحصل على نحو تلقائي. فهي ليست هدفاً كما هي في الفلسفة مثلاً. ولكن الشاعر، إذْ يعبّر ويصوّر ويتخيّل، إنما ينتج تلقائياً من المعرفة ما لا يتأتى حتى للعالم أو الفيلسوف. فالمعرفة في الشعر أعمق من المعرفة في الفلسفة، كما يقول أرسطو نفسه. ولأن المعرفة لدى البشر ناقصة على الدوام، فإن اليقين صعب لدى الشعراء وغيرهم. لا بل إن اليقين هو استقالة من البحث عن المعرفة، هو نهاية سلبية، نوع من الاستسلام. واليقين في معاجم اللغة العربية هو معنى من معاني الموت. أما الحياة (أو الحيوية) فهي المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالظن أو الشك، أو القلق المعرفي كما جاء في سؤالك. وقد عبّر المعري عن هذا كله في قوله: أما اليقين فلا يقينَ وإنما/ أقصى اجتهادي أن أظنّ وأحدسا.

■ في الكتاب قصائد كُتبت في السفر (أميركا) واستحضار لأسفار أخرى (حضرموت). تقول في النص «هي الأرض نذرعها / باحثين عن الجوهر المتخفّي»، ما هو الجوهر الذي نجوب الأرض باحثين عنه؟

نبحث عن جوهر نرغب فيه، ولا نعرفه. إنه القلق مرة جديدة. ولكنه هذه المرة شغف بذلك المجهول الذي نبحث عنه. أما السفر فهو طريقة في توسيع الأفق المعرفي، وبالنسبة إلى الشاعر سبيل إلى إغناء ثقافته واهتماماته وموضوعاته. وفي تجربتي الخاصة أماكن تعرفت إليها في أسفاري، جعلتني أكتب قصائد من وحي ما اكتسبته في تلك الأماكن. حتى إنني كثيراً ما شعرت بأن بعض الأمكنة أمدّتني أكثر من غيرها بحالات مؤاتية لكتابة الشعر. واكتفي هنا بذكر اليمن التي زرته مراراً، وقد صدرت لي مجموعة شعرية بعنوان «قصائد إلى اليمن»، ضمّت ما كتبته فيها. أما ذلك الجوهر الذي نبحث عنه، فهو الذي نحسبه يعطي معنى لحياتنا، ولكننا لا نعرفه، ولا نتوقف عن مراوغته وهو الذي يراوغنا، ولا عن استدراجه وهو الذي يفلت منا دائماً. ربما هو ذلك الذي أراده أبو نواس في هذا البيت: فكأني تابعٌ حُسْنَ شيءٍ/ من أمامي ليس بالمستبان.

■ «عندما يتأتى لي الشعر/ يغدو لديَّ سواءٌ: وجودٌ وشعرٌ/ فأحسب أن الحدائق مالٌ / وأن الحرائق راءٌ / وأن اجتماع الحروف مجونٌ وسحرٌ/ وإذّاك يشرق في صحبة الدال والراء دُرٌّ». كيف ينتقل الشعر من منطقة اللغة والقول إلى منطقة الوجود والمجون والسحر؟

ـ ليس من انتقال من منطقة إلى منطقة. ففي اللغة يحصل كل شيء دفعة واحدة. ما قبل اللغة، هنالك حالات شعرية تحتاج إلى أن تتجسد أو تتبلور أو تتجلى. ولا يحصل لها شيءٌ من هذا القبيل إلا في اللغة. ففي اللغة، يكتسب الشعر وجوده الحقيقي. واللغة، كما قلت في إجابة سابقة، ليست مجرد وسيلة، هي التي تفكر من خلال الشاعر وتشعر وتتصوّر، كما هو يفكّر من خلالها ويشعر ويتصوّر. والمجون الذي ذكرته في سؤالك، انطلاقاً من مقطع في إحدى قصائدي، هو مجونٌ لغوي. كذلك السحْر، هو سحْرٌ لغوي. فاجتماع الحروف في الكلمات، واجتماع الكلمات في الجمل أو العبارات، يذهبان في الكتابة الشعرية إلى أبعد مما رسمته المعاجم. إلى أبعد بكثير مما حدّدته المعاجم من معانٍ ودلالات. وهذا الأمر لا يعرفه جيداً إلا الذين تمرّسوا باللغة، وعاشوا فيها، واستساغوا العيش ما بين أسرارها. في هذا الكلام إشاراتٌ إلى مزايا التركيب في اللغة العربية، أي إلى مزايا النحْو. وأبرز من اختبر هذه المزايا وتناولها وفصّل الكلام فيها هو الناقد والبلاغي عبد القاهر الجرجاني، في كتابه الشهير «دلائل الإعجاز»، حتى إنّه أدخل مصطلحاً في علوم البلاغة هو مصطلح «معاني النحْو». علماً أنّ كتابه المذكور يُعدّ أساساً لعلم المعاني، الذي هو أحد علوم البلاغة العربية. و«معاني النحو» عند الجرجاني هي وجوه التصرّف بالكلمات وبتركيب العبارات، من تقديم وتأخير، وتنكير وتعريف، وفصل ووصل، وعطف وإضافة... وغير ذلك. ولم يكتف الجرجاني بذكر هذه الوجوه وشرحها وتفصيلها، بل تغزّل بها لأنه وجد فيها قِيَماً سحرية، وقدّم إزاء كل منها أمثلة من القرآن والشعر. ربما تسنّى لي، عبر استعانتي بعبد القاهر الجرجاني وببعض كلامه على النحْو العربي ومزاياه، أنْ أوضح ما قصدته بالمجون والسحر اللذيْن ينبثقان من حسْن التصرّف باللغة لدى الشعراء... أو بعضهم.

■ هل تتابع ما يُكتب من أدب وشعر ورواية في زمن كورونا؟ وهل تظن أنه ستُخلق مساحة في الأدب العالمي تُصنّف بأدب الوباء؟

ـ نعم، قرأتُ الكثير في خلال العام المنصرم. ولكن بسبب ظروف الحجْر لم يتسنّ لي أن أتابع الكثير مما يصدر حديثاً. قرأت بعض الروايات وبعض المجموعات الشعرية، ولكن أكثر من ذلك قرأت كتباً في التاريخ والفلسفة. ذلك أني عدت إلى مكتبتي، لأكتشف أنني كنت في الماضي قد راكمتُ الكثير من الكتب التي لم أجد الوقت لقراءتها كلها، فإذْ بالفرصة تأتي مع الظروف الصعبة التي لا نزال فيها. أما بالنسبة إلى أدب الوباء وإمكانية إعطائه مساحة لكي يكون صنْفاً من أصناف الأدب، فإنني لا أرى أهمية لمثل هذا التصنيف. أكثر من ذلك، أنا أرى تعسفاً في كل تصنيف للأدب بحسب الموضوعات. كأنْ يقال مثلاً «أدب الحرب» أو «أدب الوباء» أو «أدب الثورة»... أو غير ذلك. والتعسف هنا يحصل بسبب الجمع بين نصوص جيدة وأخرى رديئة أو عادية، لا لشيءٍ سوى أنها جميعاً تشترك في الموضوع. ومثل هذا التعسف أجده في تصنيف الأدب بحسب الفترات أو الحقب الزمنية. كأنْ يقال مثلاً «شعراء السبعينيات» و«شعراء الثمانينيات»... وما إلى ذلك. ولكن، على الرغم مما أقوله هنا، قد يظهر «أدب الوباء» وتعطى له مساحة كبيرة أو صغيرة، لا أدري. ذلك أنّ كثيرين يحبّون التصنيف في الأدب، ولو كان ذلك على حساب الأمور الفنية، أي على حساب مستوى الأدب وقيمته وجودته.

■ ما بين «أوهام ريفية» و«أكثر من عزلة، أبعد من رحلة» ماذا تطور في تجربة جودت فخر الدين الشعرية؟ هل يمكن اعتبار ثالوث «التأمل-الحزن -الحكمة» ثابتاً في أعمالك كلها؟ وما هو «المتغيّر»؟

«أوهام ريفية» هو عنوان مجموعتي الشعرية الثانية التي صدرت في عام 1980. أما مجموعتي الأولى «أقصّر عن حبّك» فقد صدرت في عام 1979. وليس من ثابت في أعمالي الشعرية، على مدى السنوات الأربعين الماضية، سوى القلق. القلق حيال كل شيء، وحيال الشعر نفسه. وأظن أن القلق هو عامل إيجابي ينبغي أن ترتبط به كل تجربة شعرية. فهو الذي يقف وراء كل تغيّر أو تطوّر أو تقدّم. أما التأمل والحزن والحكمة، فهي حالات ومواقف يُمدّها القلق بالحيوية، ويجعلها تتحول إلى موضوعات وصُوَر شعرية.

حبّذا لو تكون القيم الشعرية هي القيم العليا في المجتمع! لقد أثبتت الوقائع على مرّ التاريخ أن هذا الأمر صعبٌ، بل مستحيل. مع ذلك، فإن التفكير فيه يُقلقني دائماً، ويوجهني، خصوصاً في ما أكتبه. فالقيم الشعرية في نظري هي الأخلاق الحقّة. هي المجرّدة من المنافع وعنها. هي التي ترمي إلى الجمال وحده، وفي الجمال وحده يكمن الحب والانفتاح والرحابة والأمل. هي التي من شأنها أن ترفعنا فوق المخاوف والمطامع، وأن تعصمنا من التعصب والعنف والتقوقع. هذا القلق الذي أشرت إليه، ووصفته بالثابت الوحيد في تجربتي الحياتية والشعرية، هو الذي يجعل التغيّر أو التطوّر سمة بارزة في كتاباتي، على مدى مسيرتي الشعرية. وهذه السمة لا تقتصر على موضوعات قصائدي ومضامينها، وإنما تشمل النواحي المتعلقة بتقنيات الكتابة على اختلافها. وهذا أمرٌ أتركه لمن يحبّ تقصّيه من القرّاء والدارسين.

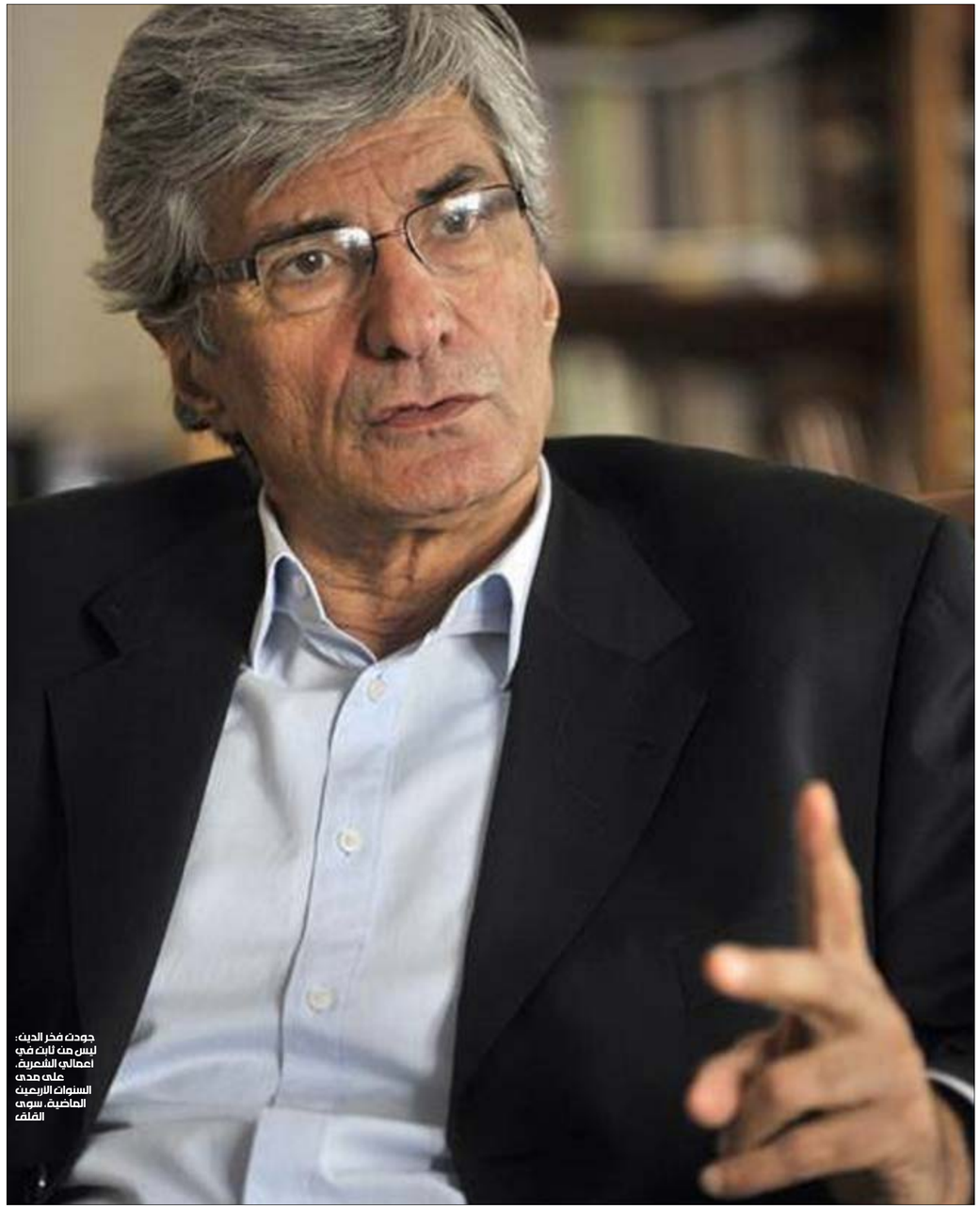

جودت فخر الدين: ليس هناك أبعد في أعمالي الشعرية على مدى السنوات الأربعين الماضية، سوى القلق

قصة قصيرة

قصاصات بارثولوميو

بيكاسو ـ «عازف الغيتار العجوز» (زيت على قماش، 1903)

زهير كريم *

كان بارثولوميو الذي يسكن في الطابق الثالث، عازف غيتار مشهوراً كما يدّعي، لكنه من جانب آخر، كان سكّيراً وداعراً كما تقول أثناء عراكهما زوجته خوستا، المرأة الصالحة التي تذهب إلى الكنيسة بانتظام لحضور قدّاس الأحد، والتي تتحدث كثيراً مع صورة العذراء المعلقة في المطبخ، حيث يقول بارثو إن زوجته، وأثناء حديثها مع السيدة، تطلب منها أن تتدخل مقابل أن تطبخ للفقراء كل شهر، للمساكين الذين يعيشون في الشارع وفي محطات المترو.

والعراك بينهما كان يحدث بانتظام مع بعض الاستثناءات القليلة، إذ كانت الدنيا تنقلب فوق رؤوسنا مرتين في الأسبوع على الأقل حتى حفظنا الموعد، حينها نرفع صوت التلفزيون، نغلق النوافذ، وأحياناً نخرج نهائياً من البيت.

في ما يتعلق بي، لم يكن من السهل تحمّل نزوات هذا العجوز، خاصة عندما كان يبدأ العزف بعد العاشرة مساء، حيث تنتهي جولة عراكه مع خوستا السمينة، التي لا يبدو أنها أحبّت الموسيقى طوال حياتها، أو دخلت مرقصاً يوماً من الأيام:

— أبي كان حدائقيّ الكاتدرائية، لكن هذا الوغد بارثو خدعه بالزواج مني، قال إنه ابن قس سابق، مات وهو يصلي، وأنه رغم أنها بائعة سمك في السوق، قال عنها مدرسة لغة إنكليزية. هكذا كانت خوستا تردد هذه الأسطوانة كلما قابلتها، تطلق حسرة، وكان رمشاها يتحركان بسرعة، وبشكل متواصل كأنهما جناحا فراشة، ثم تضيف:

— اعتقد أن الشيطان يسخر منه، تخيل، يقول مارثو إنه أهم عازف غيتار في العالم، هل هناك أكثر من هذا الجنون!

كانت هذه هي الجملة المريرة لخوستا عندما تعتز. وفي إحدى المرات قابلت في المصعد، كان ذلك قبل ثلاثة أشهر، ابنته بروديتيا التي كانت على علاقة ساخنة على ما يظهر بشاب هولندي، يبدو عليه بأنه ملاكم، قالت إن اسمه كيڤن عندما قدّمته لي، إذ كان مدعواً كما يبدو على العشاء عندهم تلك الليلة. والبنت الجميلة كانت في العشرين تقريباً، قرطاها الكبيران يتدليان مثل أسطوانتي موسيقى، صديقها أيضاً ألقى التحية بتهذيب كما لو أنني عمه الذي عاد من سفر طويل.

— تبدو ملاكماً؟ قلت له وأنا أنظر إلى جسده، تفاجأ في البداية، ثم ابتسم وقد ألقى نظرة خاطفة على جسده، كما لو أنه أراد التيقن بأني خمنت ذلك من خلال ارتفاع صدره، وحجم عضلات الساعدين، وكانت ابتسامته قد تعلّقت على فمه ولم يقل شيئاً قبل أن أضيف:

— أنا أيضاً، كنت ملاكماً، كان ذلك من زمن طويل.

ولا أدري لماذا قلت ذلك، نظر إليّ وزاد قليلاً من حجم ابتسامته، اعتقد أنه لم يصدق أن صاحب هذا الجسد النحيف، يمكن أن يكون حتى لاعب دومينو.

— بالفعل!! قالت بروديتيا قبل أن يتوقف المصعد.

— صديقي كيڤن، ملاكم لكنه ليس مشهوراً جداً، على أي حال.

— تشرفنا، قلت له، ثم وجهت خطابي لها:

— من فضلك يا آنسة، أخبري الموسيقار العظيم بارثو، بأنه يزعجنا، أنا أصحو عند السادسة وزوجتي أيضاً، ابنتنا تذهب إلى المدرسة لهذا هي تنام مبكراً، والذي يقوم به والدك المبجل شيء غير عادل إطلاقاً.

أطلقت تنهيدة ثم قالت:

— أنا آسفة مسيو، هل تعلم أن جارنا الذي في الشقة الموازية أخبر الشرطة قبل يومين، سوف يتوقف أبي عن فعل مثل هذه الأمور لبعض الوقت، لبعض الوقت فقط، لكنه سيعود، أمي تقول إن في رأسه شيطاناً. وأنت تعلم بالتأكيد، أن الشرطة والمستشفيات لن تفعل شيئاً للشياطين.

وفي الحقيقة، رغم أنه في الستين، يبدو السيد بارثولوميو وسيماً، قبعته نفسها التي يقول إنها هدية من مغنٍّ كولومبي مشهور اسمه بارثو كذلك، وكانت في عينيّ جاري نظرات ملاكم قديم، ولم يكن الرجل على أي حال سيئاً، على العكس كان ظريفاً ومحبوباً بين معارفه، حسناً، لا يعنيني من كل هذا سوى فقرة شيطان الموسيقى الذي يعبث برأسه بعد الساعة العاشرة.

قبل شهر تقريباً كنت قد قابلته بالصدفة في «مقهى ميتيكو»، كان يعزف فعلاً، أصدقاؤه ظرفاء، بل كانوا أوغاداً على وجه الدقة، ويبدو أنهم لم يتركوا شيئاً من الموبقات لم يجربوه، أعينهم حادة النظرات، لكنهم كانوا مرحين، يحفظون شتائم كثيرة مضحكة، ويطلقون النكات على المقدسات أيضاً، يا للأوغاد!

— اسمع أيها الجار العربي المحترم، قال لي وأنا أشرب قهوتي، ثم أضاف:

— أنا أعزف عندما تزعجني هذه الحشرة المؤمنة جداً خوستا، أهرب من مواعظها وصلواتها المضحكة إلى الموسيقى، اسمع هي تخاف من الشرطة، أو بصورة أدق، هي لا تحب أن يأتي أي منهم إلى البيت ولأي سبب كان، أفعل ذلك لأجعلها تبدو في ورطة، أنا آسف يا صديقي، لا يمكنني مقاومتها إلا بالموسيقى، وعلى أي حال، يمكنك أن تسمعني، لست عازفاً عظيماً، لم أقل ذلك، خوستا من يردد هذه الشائعة عني، لكنني متيقن أنك سوف تستمع، تعال إلى «بار الإخوة الثلاثة» في شارع شارل لوا، ساكون هناك ليلة السبت.

كنت أرى بالفعل بارثو في أمسيات الجمعة وهو يحمل غيتاره، وكان ثمة مقهى يديره برازيليّ يرتاده التشيليون والكولومبيون والأرجنتينيون، قريب من قلب المدينة، يبدو أنه فعلاً عازف محترف، توقفت مرة أمام المقهى وشاهدته، كان الجميع يصفق له، لكن خوستا تقول:

— إنه زنديق وكفى، ثم ترسم علامة الصليب بوجل ولمرات عديدة، تفعل ذلك للاعتذار عن إزعاجه للجيران أو ربما لتهدئة الله حتى لا يغضب على العائلة كلها بسبب شخص وغد مثل بارثو جعلها في ورطة مع الناس ومع الرب كذلك.

وقبل أسبوعين تقريباً، كانت هذه آخر مرة رأيته فيها، تحدثت معه السرير. كانت خوستا قد وضعت الغيتار في أحضانه، سحبت أصابعه الباردة لتلامس الأوتار، وفوق جسده الضئيل نثرت الكثير من القصاصات التي كان يحتفظ بها، إنها أشياء قديمة لم يتوفر له الوقت لتوظيفها كفخاخ للنساء. وأثناء ذلك رسمتْ علامة الصليب لمرات عديدة، كانت تتحدث إليه بلوعة الذي فقد كنزاً لم يعرف قيمته يوماً:

— حزينة لأنك لم تصلّ للرب ولا لمرة واحدة، لكن من فضلك استيقظ الآن، استيقظ ولو لبعض الوقت يا صغيري بارثو، لا تمت أيها الوغد، افتح عينيك الوقحتين، وحرّك أصابعك الشيطانية لتعزف لنا شيئاً، لن ينزعج الجيران هذه المرة، هذا مؤكد، إنها الأخيرة، سوف يدركون ذلك، وسوف يقدرون آخر شهقة لعازف عظيم يودع العالم.

* بروكسيل/العراق

— كلام، مجرد كلام في الحب، الحقيقة أنني لم أكن أكتب ذلك، كنت أستعين بصديق فرنسي، يقول إنه شاعر، لا أدري، كان له وجه ثعلب، ولا أظنه سوى لص أشعار وحسب، على أي حال، كنت أحمل معي في ليلة السبت ثلاث أو أربع قصاصات.

— ولكن ما أهمية أن تحمل قصاصات مكتوباً فيها بعض الأشعار إلى المرقص؟

— كان هذا قبل الإنترنت والرسائل الإلكترونية كما قلت لك، أختار للرقص واحدة من اللعينات اللواتي يسيل اللعاب لفتنة أجسادهن، أبتسم لها ثم أقترب منها شيئاً فشيئاً، وفي الوقت المناسب، أدس بين ثدييها القصاصة، الكلمات يا صديقي هي السحر، الشابات الجميلات كن يحتجن إلى الكلمات ويقدرن الأشعار، في آخر السهرة أكون قد حصلت على واحدة فنذهب إلى السرير.

— ولماذا ثلاث أو أربع قصاصات، ألا تكفي واحدة؟

— لا، الأمر يشبه لعبة البوكر، فلا يجب على المقامر أن يضع كل أمواله في خانة واحدة، اسمع مرة وضعت قصاصتين فيهما الكلام نفسه لشابتين، كانت إحداهما أكبر قليلاً، في النهاية اكتشفت أنهما أم وابنتها، هذه واحدة من المرات التي خرجت فيها من البار ليلة سبت دون امرأة.

— وهل ما زلت تكتب القصاصات سيد بارثو؟

— لا، لم يعد هذا الشيء مجدياً، لم يعد ثمة من يهتم لهذه الأشياء الظريفة، بالنسبة إلى عجوز مثلي، الموسيقى هي كل ما تبقّى لي، إنها تمنحني اللذّة كتعويض عن الأشياء التي نامت إلى الأبد.

وفي صباح من أيام شهر آب، سمعت بكاء خوستا، اعتقدت في البداية أنهما تعاركا كالعادة، وأن يكون قد ضربها على رأسها بغيتاره، وهذا ما كان يهدد به دائماً، لكنه لم يفعلها قط، أو يكون قد أحضر امرأة ما زالت تؤمن بالكلمات خلال غياب خوستا فكبسته، ثم سمعت إيروديتيا تبكي أيضاً وتتكلم مع رجل في الشرفة، نظرت من الشرفة الخلفية إلى الأسفل، شاهدت كيڤن صديق إيروديتيا وحده يقف في الخارج، يدخن سيجارة ورأسه إلى الأسفل.

— من فضلك، هل حدث مكروه للسيد بارثولوميو؟ سألته، ومن الواضح أنه كان يبكي بصمت، ودون أن يرفع رأسه قال:

— لقد مات السيد بارثو !!!

هبطت بسرعة، فتحت لي إيروديتيا الباب.

كان عازف الغيتار بارثو ممدّداً على كان خارجاً من «مستشفى سان بيير»، وجهه شاحب، وخطواته بطيئة، وكان يضع القبعة ذاتها، قال إنه لم يعد يمارس ألعابه القديمة. كنت أظنه يتحدث عن الموسيقى وتذكرت فعلاً أنه منذ فترة لم يعد يعزف، كنت مرتاحاً لهذا التغيير رغم أنني وللحق، كنت أتمنى أن أراه وأساله عن صحته.

— كيف تجري الأمور سيد بارثو، لا تبدو بحال جيد!

— لم يعد في هذا العالم ما يستحق، لم تعد هناك ألعاب، لم تعد هناك حياة!

— أي ألعاب تقصد سيد بارثو؟

— قبل الإنترنت وهذا الهراء الذي لم أفهم منه شيئاً، قال ذلك وكانت مسحة حزن تغمر وجهه، سحب نفساً عميقاً من سيجارته وأضاف:

— كنت أكتب قصاصات من الورق، حدث ذلك من زمن طويل.

— وماذا في هذه القصاصات؟

شعر

ثلاث قصائد

ديمة محمود *

1. بسرّة واحدة

للنشوة جذرٌ أبيض يتوارى في
اللون ويشفّ في العتمة
تكسر حوافّها بصعوبةٍ فلا تنثني
ولا تبالي بمجاديف الثائرين
للنشوة أن تكوّر الرغبة مثل سكينٍ
ناشزٍ تشرّح الهواء
تتنزّل طينها بأورادٍ طويلة الآماد
والتجلّي
تفجّر على عجلٍ وتباعاً سرباً من
الأساطير
التنازع في استبطان اللذة
مناغشة الألم
التبدّدُ في الالامكان والارتواء
باللازمن
رهائن تصنيفٍ ميتا-لونيّ يوصل
المسافات بالاستغراق
أو استحداثُ لقياس الارتواء ما
بينكما أنت وهو، الخفيّان كلّ مرّةً
ما من أوانٍ مستطرقة
الإلحاح في مقاربة الورود لودّ
واكتمال
والفوضى شيطانةٌ أريبة تركلُ
المعايير
لعابُها سفرٌ مخضرم يكمش المسافة
بمراوغة فتانةٍ
دوائر كثيرةٌ تروح وتجيء كشَرَكٍ
ومنقذٍ في آن، يؤرجح الساعة
الصفر
قبضُ حذرٍ للبداية والنهاية معاً
اختبارٌ خبيثٌ للقلق لا يكُفّ ولا
يشلح أرديته دفعةً واحدة
معلّقون من أصابع اقدامنا بخيوطٍ
من النمل في ذيل مركبة فضاء
تلك أنانا الموحّدة- هوّتنا
كرقّةٍ نتكتّل سابحين بسرّةٍ واحدةٍ
وبلا وزن.

2. لو .. نجونا

على صفحة الماء حللنا العقدة
تبيّن لنا الآيُ والترقيم كما ينبري
ظهر سلحفاةٍ بضع سنين
تصيح أوداج صبح في فلاة
لم أكن إلا فلكاً وهذي النواجذ هواءً
ونار
تعيد النار العقدة والهواء يُحْكم
السدّان
يفيض نهرٌ وأرجلٌ وتابوت
تنام قصيدةٌ على إيقاع الورد يعلو
وجه الماء
أن لنا أن نمسّد ثنيات اندفاعنا
وأذرعةً هوجنا
هل كان سقف الأبد إلا عشباً منتهي
الصلاحيّة غشّه المارّة والنسّاجون
ورشّوه بماء الزهر ودبس الرمان
ليغرينا بالهجرة
هل كانت كوى الأحلام إلا حدائق
معلقةً في نهد النسيان
روتها الغرابيب والماقي بإجهاضٍ
منذر
هل كانت يقظتنا إلا أكذوبة الوعي
وانبلاج القيثارة عن صخرة اليباس
لو كان النهر رملاً لسرتُ في الجبل
الحياة رغم أنف الناجين من هذا
الغرق
لو انزلقت السماء بخطوةٍ في البحر
لصحا هوميروس من عتمته
لو ولدت الأفاعي أسماكاً تطير
لتوسّطت الشمس كبد السماء
الثالثة ليلاً
لو ... نجونا.

3. في جزة مسافة

للمنافي بدايات العارفين والسَكارى
تطير سلحفاةٌ من نافذة الزمن
لعلّ الصبيّ اتخمتْه الميتافيريقيا
أو عائت به الأنثروبولوجيا
من للعصا يُقسّيها في حضرة
رُهاب المسافة
أم أنّ قمّة الجبل حكرٌ على مغامرات
الانتهازيّين والهواة
من للعصا يلبّنها في مبسم أغنيةٍ
تهدل في حدوة حصان
أم أنّ لأوتار العود وزراً يطفئه
الشتاء والتململ.

للمنافي بريق الغبار حين ينفض
نفسه
وللأرصفة ثرثرة الحكّائين وأمواس
الحلاقة
يغادر التاريخُ جلابيب الوسن
والحلول ليستقرّ في رفوف المؤن
وأخبية الجدّات
هذا الرحم يضيق كثيراً وأغلفته
تتصلّب
هل للسبيل أن يكفّ استمالات
العابرين وشحاذتهم
أم أنّ القطط التي عرفت الحرب يوماً
تحبس مواءها
وتعلّق القنران على حساب المارّة في
محفلٍ يسدُّ الذرائع.

للهنود الحمر فضائل الألوان
والطوطم
وبينما الطوطم في التابوت مرتاح
الضمير
لن ينال عصيانٌ مدنيٌّ ولا قنابل
غاز من سقطات الريش أو قدّح
الشّرار
ذات تطوافٍ لا يعبأ بالكادحين
ورؤاد الأحلام والمنبوذين من
قصص الغرام
تحشو المنافي اختلاطاتها في
جحور القنافذ والثعابين
وعلى حين غرّةٍ تُثكّ أدرعتُها رماد
الأيديولوجيا
لم يكن كلّ الذين توسّدوا هنا
جوعى
هذا الصبيّ كان سيّداً قبل أن تلفظه
الحضارة
وتنغلق بوّابات الزمنْ بتروسٍ من
السليكون و«البيتكوين»
يرتطم الصوت برائحة البياض
ويفكّر ألف مرّةٍ قبل أن يغنّي.

* مصر

رحاب العصري ـ بدون عنوان (زيت على قماش، 2018)

أقصوصات

كاتبٌ يقتلُ قارئَهُ

أسماء جزائري*

1. مسافة رخيصة

بعدما سقطت القذيفة على المبنى الخاطئ، نظرت المجازر القديمة في كتب التاريخ إلى بعضها، وانفجرت بالضّحك، لقد كانت المسافة التي قادت إليها الجثث نحو القبور قصيرةً جدّاً، فلم تكلّف الحياة كثيراً ما بين دار العجزة والمقبرة.

2. إشاعة

بعدما دفنوه واطمأنّت رواياتهم لموته، وقرأت الكثير من المقالات الفاتحة على روحه، غادروا المكتبات وهم يُقذمون العزاء للرّفوف التي ستُحرَم من إصداراته الجديدة، غير مصدّقين أنّ إشاعتهم نجحت أخيراً، فلا جريدة تنفي خبر موته، ولا أصدقاء يتناقلون الأمر على أنّه مزحة، ولا هو كتب عريضةً ينفي فيها الخبر ويسبّ الأعداء الذين يجزّون جنازته ككلب ثمّ يربطونها بعمره. «الآن سأنام مرتاحاً من إبداعاته»، يقول قاتل الكلمات، لكنّه حينما استفاق بعد سنين من جريمة الأدب، كان حفيده يقفّ وبين يديه رجل يريد تقديمه له، أمعن النظر في الاسم على الغلاف، كان هو بشحمه ولحمه، وكانت الكلمات وهي تسيل على سريره تصرخ: هذا الكاتب العظيم سيظل موته دائماً مجرّد إشاعة؟

3. قرية الطباعة

اصطفّت الكلمات طويلاً قبل أن تدخل قرية الطباعة. وقف الضبّاط على الحاجز يفتشون هوياتها، كانت المعاني الحقيقيّة تتلقى الطعنات وتسقط على ركبتيها فيركلونها إلى الخلف بداعي تجاوز الخيال المسموح به، تُهمٌ كثيرة توجّه للعناوين الجريئة ريثما يتمّ سحبها من الأسواق وحرقها أمام الملأ كعبرة أدبيّة، وفجأة خرجت من الصفّ كلمة كانت قد ابتلعت رصاصة، وتقدّمت مسرعةً نحو قصيدة جروها سابقاً إلى الحائط، وبعد أن عثروا على مسدّس محشوّ بحقائق قاتلة تحتها. كان الضبّاط يأمرونها بالتوقف وإلا أطلقوا النار عليها. «لا تقتلوا الكلمة الحرّة»، يقول نصّ غائب. «اقتلوا هذه الانتحاريّة»، يصرخ نصّ متطرف. أمّا القصيدة فقد تناولت الكلمة داخل مسدّسها وأطلقت على الحاجز نفسها.

4. قطار الكلمات

كان الكاتب ما إن يصعد بكلمة إلى قطار نضه وتُربكه جراتها، حتى يُنزلها بداعي عدم إحداث الشغب داخل المعاني، وخوفاً من جلب المزيد من المشاكل، فهو يريد الوصول إلى محطّة آمنة لا تعبر المناطق المنكوب تاريخها، ولا تتوقف داخل مدن الحُروب، ولا أمام الإشارات الدينيّة. كان يفعل ذلك مراراً: يشطب أسماء الكلمات من القوائم من دون أن يرفع رأسه لذلك الكمّ الذي تكوّن على رصيف الهامش. وما إن أطلق النّص صفّارة المغادرة حتّى تعطّلت أصابعه مندهشة، كان حشد كبير من الكلمات غير المرغوب بها يهتفّ الآن بحريّة كاتبها. عندها فقط فتح النّص نوافذه ورمى الكاتب بقلمه تحت العجلات.

5. لعبة الملاك

وسط الحرب رمى الجنديّ بندقيّته وجلس يتصفّح كتاباً. الجُثث من حوله تُدخّنها القذائف ثمّ تنزل الأسماء لتتجوّل بين الأغراض، وقت الحرب تُراقبه ثمّ شقّت طرف ثوبها ومسحت دُموع المشهد، وحين أعلن عن وقف إطلاق النّار أخرج الجنديّ من حقيبته كتاباً ووضعه بجوار جثّة غريمه على الحدود الحربيّة، ومضى إلى ما ينتظره. يسأل الصحافيّ الجنديّ الذي أصبح كاتباً: هل قتلت أعداءك؟ فيردّ: بل قتلتُ قارئي! في السّماء استمع القتيل إلى الحوار وبكى بشدّة لأنّه لم يستطع حمل جريمة ظلّ الريح إلى المقبرة بعد أن تحوّل القتل إلى لعبة للملاك.

* جيجل/ الجزائر

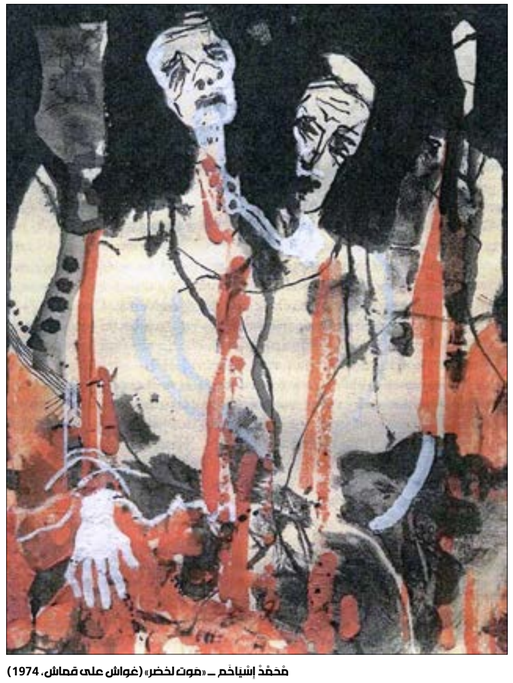

محمّد إسياخم ـ «موت لخضر» (غواش على قماش، 1974)

دراسة

علي بن أبي طالب في المخيال العربي الإسلامي

أنيس الشعبوني

كتاب جديد صدر في تونس للباحث المتخصّص في الحضارة العربية عبيد خليفي حول علي بن أبي طالب بعنوان «صورة علي بن أبي طالب في المخيال العربي الإسلامي» (الدار التونسية للكتاب). كتاب يتناول تمثّل علي بن أبي طالب، أحد المساهمين الأساسيين في مرحلة ما يُعرف بالإسلام التاسيسي، وقد تناوله الباحث من جهة كونه شخصية إشكالية مؤثرة «كانت جاذبية علي بن أبي طالب الأبهى بين رموز الإسلام التأسيسي؛ وكانت الأجدر لأنها لم تقطع مع مفهوم الفتوة «الجاهلية» والنبوة «التوحيدية»؛ فكان علي بطلاً إشكالياً».

يعتبر الباحث خليفي أن علي عبّر عن المأزق الأخلاقي للضمير الإسلامي، فهو صاحب الحق المهزوم «حسب الصورة المرسومة له وهي صورة مرتبطة بالعجيب الخلّاب» على حد تعبيره.

الكتاب كان في الأصل رسالة جامعية في «كلية الآداب والفنون والإنسانيات» في «منوبة، لكن تم تطوير الرسالة لتصبح كتاباً رصد فيه خليفي ملامح صورة علي كبطل في المخيال العربي والإسلامي. وقد قسّم الكتاب إلى أربعة فصول وهي: «من النّهج إلى الشّرح: انغلاق المدوّنة»، و«من النّص إلى الصورة: علي الواحد المتعدّد»، و«تجلّيات علي السّيرة»؛ وأخيراً «علي الأسطورة والأنظمة الدلالية للصورة».

لكنّ الباحث قدّم لهذه الفصول الأربعة بمجموعة من المداخل للنفاذ إلى الحقل (على حدّ تعبير بيار بورديو) الذي تندرج فيه صورة علي كزعيم وبطل، وهذه المداخل هي المدخل الأدبي والتاريخي والسياسي العقدي والنفسي الاجتماعي.

يشير عبيد خليفي إلى أن الإحساس بالعجز هو الذي يدفع الإنسان إلى صناعة البطل الأسطوري ليحتمي بصورته ويضعه في مقام إلهي أحياناً. يقول في هذا السياق: «البطل النموذج هو مفارق لما هو إنساني؛ متعال يقترب من الإلهي لينازعه صفاته فينتزعها منه؛ وهي فكرة شاعت في جميع الثقافات القديمة والحضارات البائدة». ويشير الباحث إلى أن غايته من هذا الكتاب ليست «تهديم تلك الأساطير والخرافات التي صنعها المخيال الشعبي وترجمها التاريخ الرسمي والهامشي» بل «فهم آليات بناء صورة البطل الديني في السياق التوحيدي؛ وهو بحث عن المشترك بين البطل الأسطوري والبطل الديني».

ويؤكد خليفي على أنّ «صورة» علي كانت من بين أسباب الانقسام السني الشيعي: «إن صورة علي كانت الأكثر حضوراً واستثماراً في السياق السياسي ليحدث ذاك الانقسام السني الشيعي الخارجي». ويعتبر أنّ المخيال السني يعاني حرجاً أخلاقياً وقصاماً في تقديس علي بن أبي طالب في الوقت الذي كان فيه المخيال الشيعي أكثر وفاء و«توظيفاً للصورة ومشروعيتها في الحاضر والمستقبل».

يعتبر الباحث أنّ علي بن أبي طالب (توفي 40 ه ـ 660 م) أحد أهم رجال الإسلام التأسيسي، فهو بطل إشكالي حسب مفهوم النّقد الأدبي، كان «محبوباً ومعبوداً لدى أتباعه؛ مخترقاً لحصون أعدائه». وقد تحوّل بعد المصير المأساوي الذي انتهى إليه من قضيّة في الصورة. كما يرى أن المتصارعين غداة الفتنة الكبرى تقاتلوا بالسيف والفكرة والعقيدة.

ويشير خليفي إلى أنّ التشيّع لعلي تطور من مجرّد الانتصار له ومناصرته، إلى التعصّب الذي انتهى إلى حالة من التأليه والعبادة «فمن الهيبة إلى التقديس خُلقت الصورة الإشكالية لعلي بن أبي طالب». وسعى الباحث إلى الإجابة عن مجموعة من الأسئلة في كتابه: كيف تشكّلت صورة علي بن أبي طالب في المخيال العربي الإسلامي؟ ما هي البنى التركيبية والأبعاد الوظيفية للصورة؟ ما هي الأنظمة الدلالية للصورة؟

يتوقّف عبيد خليفي عند كتاب «نهج البلاغة» في نسختين: واحدة من تحقيق: أبو الفضل إبراهيم الصادرة في بيروت عام 1987، والثانية تحقيق محمد عبده الصادرة في عام 1984 وهو الكتاب الذي جمعه ابن أبي «خطب علي عليه السلام»، وأبو الحسن المدائني (توفي سنة 215 هجري) في «خطب علي وكتبه إلى عمّاله». ويقول بأن هذه الكتب مفقودة، لكنها «لا تعدو أن تكون أجزاء يسيرة مقارنة بما جمعه الشريف الرضي».

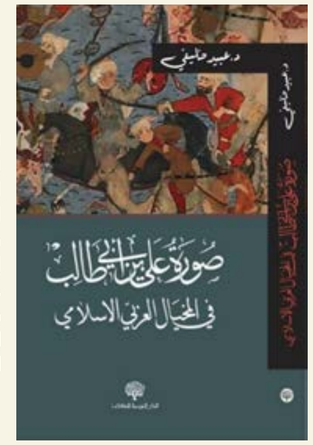

أحد أهم رجال الإسلام التأسيسي، هو بطل إشكالي حسب مفهوم النقد الأدبي

يقول عبيد خليفي إن كتابه حاول تحريك السواكن من أجل تجديد القراءة وخلخلة الإشكاليات التي تشكّل عقيدة المسلمين. يقول: «ليست العقيدة ذلك المنتج الديني المشكّل للمدوّنات الفقهية والتشريعية ولكنّها ما يرسخ لدى «المعتقد» من تصوّر ذهني يسانده سلوك عملي وظيفي».

ويعتبر أن صورة علي لا يمكن تناولها خارج الواقع والتاريخ الاجتماعي الذي نشأت فيه. أما عن اختياره لمدوّنة «نهج البلاغة» كمنطلق لبحثه، فكان مقصوداً. إذ أنّ «نهج البلاغة» كان تتويجاً لسبعة قرون من تاريخ طرح إشكالية علي بن أبي طالب. ويؤكد على أنّ هناك نموذجاً أعلى يتحكّم بسيرة البطل الديني، مضيفاً: «لذلك كانت السير والمناقب محاكاة لهذا الأنموذج؛ ومع ذلك لا نستطيع أن نجزم قطعاً أن سير الأئمة والرجال (صوفيين؛ ومصلحين) كانت محاكاة خالصة لسيرة نبي الإسلام الشفوية منها والمكتوبة؛ لأننا لا نجد قواسم مشتركة بين البطل الديني في المجال الإسلامي والبطل الديني في المجال السامي القديم من ناحية؛ والبطل الديني والبطل الأسطوري من ناحية أخرى».

ويشير خليفي إلى أنّ اهتمامه بصورة علي بن أبي طالب كان محاولة لتفكيك شخصية علي بأبعادها الرمزية من خلال مثلّث لغة - تاريخ- مجتمع، معتبراً أنّ الاستنتاجات التي انتهى إليها كانت ثمرة تركيبية تاريخية، وهي في النهاية تأويل لقراءة سياسية اجتماعية ونفسية فكرية. ويؤكد أن اهتمامه بشخصية علي ليست له خلفية سياسية، فهو ليس في أي خندق سياسي وليس معنياً لا بتمجيد ولا تقديس ولا ترذيل ولا تشويه. ويختم كتابه بالتأكيد على أن هذا الكتاب «تحريك لأسئلة محرمة في التعامل مع الماضي».

في مصداقية «نهج البلاغة» يندرج ضمن التجاذبات السنية الشيعية التي تأسّست على إقصاء الآخر وتهميشه. ويضيف: «بمعنى أدق، إنّ نفي مصداقية «النهج» هو تاريخياً صاحبه منذ ظهوره سفراً إلغاء للنص المؤسّس إيمانياً للفكر الشيعي». يستعرض عبيد خليفي نماذج من التشكيك في «نهج البلاغة» لتتضمّن شعراء العصر الباروك وعصر التنوير، والحرب العالمية الثانية وما تلاها، وصولاً إلى الأجيال اللاحقة بالتزامن مع تحوّلات بولندا الحديثة.

حديد. يقول المؤلف بأن هذا الكتاب يطرح مجموعة من الإشكاليات المنهجية والتاريخية. يوضح في هذا السياق: «يطرح «نهج البلاغة» في نسخته المجمّعة والمنجزة إشكالاً تاريخياً صاحبه منذ ظهوره سفراً مدوّناً جامعاً لكلام علي بن أبي طالب. وامتدّ هذا الإشكال إلى اليوم؛ ومردّه تشكيك المصادر القديمة والحديثة في نسب ما جُمع في النّهج إلى علي بن أبي طالب. يضاف إلى ذلك الالتباس الواقع في جامع النّهج، هل هو الرضي أم المرتضى؟ ولعل زاوية الرؤية تختلف عن بعض الآراء التي تشكّك في صحّة النهج أو تلك التي تتعامل معه بكل وثوقية دوغمائية».

واعتبر الباحث أن الجدل المثار حول نسب «نهج البلاغة» إلى علي، يندرج في سياق الصراع السياسي والإيديولوجي. ويرجّح أن التشكيك

رواية

غيّوم موسو: تشويق وتوابل أخرى

خليك صويلح

لدى غيّوم موسو (1974) وصفة كاملة من التوابل التي يحتاج إليها قارئ اليوم لجهة التشويق واللهاث وراء الألغاز والفانتازيا المسليّة. الروائي الفرنسي الذي عاش طفولته في مكتبة كانت تديرها أمه، ثم الشاب المغامر الذي هاجر إلى نيويورك، وعمل بائعاً للبوظة، ثم عاد إلى باريس محمّلاً بالخبرات الحياتية، وجد في الكتابة ملاذاً حميمياً في التعبير عن ذاته. هكذا اشتبك مع القراء بعناوين مثيرة مثل «أنني أحبك»، و«عائد لأبحث عنك»، و«الصبية والليل»، و«أنقذني». وإذا برواياته تدخل سوق «الأكثر مبيعاً» من دون عناء، بعد ترجمتها إلى نحو 40 لغة في العالم. بنظرة ما إلى الحمّى التي اجتاحت قرّاء «البيست سيلر»، سنستعيد الحمّى التي أثارها قبلاً، الروائي البرازيلي باولو كويلو، ثمّ التركية اليف شفق. لكننا هذه المرّة، سننظر بجديّة أكبر إلى روايته «حياة الكاتب السريّة» (2019) التي انتقلت أخيراً إلى العربية عن «دار نوفل» (ترجمة رانيا الغزال)، لاقتحامها مطبخ الكتابة وأسراره، وألعاب الناشرين، واستخدام مفردات الميديا الجديدة وتأثير الفوتوغرافيا في صناعة الحبكة.

ثلاثة أرباع قرائك القلائل».

يلقي رافاييل باتاي نحوه بحقيبة تحوي مخطوط روايته ويغادر عائداً إلى المكتبة. ما إن يختفي رافاييل حتى تظهر ماتيلد موني بوصفها سائحة بخطه، فإن أصابع الاتهام موجهة نحو الروائي، على خلفية جريمة قتل متهمين قديمين حدثت في الجزيرة الآمنة. عند هذا المنعطف، يتصل الروائي المشهور بالروائي المغمور طالباً منه تفتيش بيت الصحافية المتهوّرة أثناء غيابها ومعرفة ما تخطط له، فيجد رافاييل فرصته في مقابلة روائيه المفضّل، ورأيه في مخطوط روايته، فيهديه نصائح وقارئة نهمة لكتب الروائي. ورغم محاولات فاولز التخلّص منها، إلا أنها تتمكن من الدخول إلى مملكته المغلقة واجتذابه إلى وقائع تخصّه في محاولة منها لتفكيك لغز اختفائه. نكتشف لاحقاً بأنها تطارد قاتل أبيها، الطبيب المشهور في حادثة هزّت باريس بأكملها. وتبعاً لتحريتها الشخصية، والرسائل التي وجدتها في حوزة أمها، المكتوبة بخطّ يدها، نكتشف أن الطبيب السردي، بالإضافة إلى رسم خرائط توضيحية للأمكنة التي تدور فيها وقائع الرواية.

لا أحد يعلم أسباب اختفاء نائان فاولز اليوم لجهة التشويق واللهاث وراء روائي وضعه في الواجهة، واعتزاله في جزيرة «بومون» على شاطئ البحر الأبيض المتوسط. لكن رفاييل باتاي الذي حصل على عمل مؤقت في مكتبة «الوردة القرمزية» وسط الجزيرة، سيجدها فرصة للتعرّف إلى الروائي عن كثب، بأمل معرفة لغز اختفائه أولاً، وكي يقنعه بقراءة مخطوط روايته «خجل القمر» التي رفضها أحد عشر ناشراً، وسيتجاوز صدمة الفشل مسترشداً بسيرة كتّاب كبار سبق أن تلقوا رسائل رفض من دور النشر. لن يهنأ نائان فاولز بعزلته، إذ يقتحمها الروائي المجهول بإصرار، غير عابئ بالطلقات التحذيرية من بندقية فاولز بالا يقترب من سور بيته. وحين يخبره بأنه روائي بحاجة إلى نصائح منه، يجيبه: «لا يمكن لأحد أن يعلّمك الكتابة. هذا أمر عليك أن تتعلّمه بنفسك» و«حياة الكاتب هي الشيء الأقل روعة في العالم. أنت تعيش كالأحياء الأموات. وحيداً ومنقطعاً عن العالم. تبقى في ثوب النوم طوال النهار وتؤذي عينيك مسمراً أمام الشاشة وأنت تتناول البيتزا الباردة وتتحدث إلى شخصيات خيالية ستفقدك صوابك في نهاية المطاف. تمضي لياليك وأنت تعصر أفكارك لتكتب جملة لن يلحظها

يقتحم مطبخ الكتابة، والعاب الناشرين، ومفردات الميديا الجديدة وتأثير الفوتوغرافيا في صناعة الحبكة

شعر

غادة نبيل تكتب «باسم غير مستعار»

بول مخلوف

كان من الأجدى على المُحرر إثر تقديم مجموعة غادة نبيل الشعرية «باسم غير مستعار» (منشورات المتوسط) أن يستبدل ملاحظته التمهيدية: «تستخدم الكاتبة مفردات من العامية المصرية إضافة إلى إشتغال تجريبي بصري في مجمل الديوان وأحياناً يركز بشكل خاص على دمج الكلام عبر إلغاء علامات الترقيم» بأخرى أكثر قرباً وتناغماً مع نصوص الشاعرة. فالتجريب إذا ما احتاج إلى توضيح مُتعمّد، أو تفسير مقصود لكشف الإضمار وتفكيك المُبهمْ بغية جعله مفهوماً، متحرراً من الغازه، يكون قد فقد هويته. ما هو جائزٌ مثلاً، في حال كان التنويه شرطاً لتحذير القارئ مما هو قادمٌ عليه، أن تكون النصيحة من قبيل أن هذا الكتاب ليس مخصّصاً لأصحاب القلوب المرهفة الذين يرون في الشعر فسحة نقاهة. ذلك أنّ غادة نبيل تلقي بنفسها في النص، تطبع ذاتها بدون مواربة، باسمها الخاص. كما جاء في العنوان. غير أنها بقارئ مرجوّ أو آخر متخيل، بل لنفسها أولاً وأخراً، حاملة هذا الاسم، ذات غائرة في التجارب، مكلومة من فظائع الأعراف، نبرتها حادّة، جملها مسنونة، وبالتالي من الطبيعي أن تنتج صاحبته نصاً متوتراً، لاذعاً، مفعماً بالحركة، يلدغ القارئ تلقائياً، عند الوهلة الأولى، كمن يباغته تيار كهربائي ويصعقه فجأة. كتابة غادة نبيل غير سهلة، ليس لأنها تضع في السياق كلمات في العامية مثل «فشيخ/ يفرفط/ تطرطش»، بل لأنها تنتمي إلى مدرسة الأسلوب، مجسدة إحدى قواعد جيل دولوز في كيفية الاستحواذ على أسلوب عظيم، أي إخضاع اللغة لمعالجة إرادية، غير مصطنعة، تستنفر كل ضرورات الكاتب وامتيازه ليُركب جملة أصيلة.

تخلق قصيدة غادة نبيل من رحم المعاناة، بعملية تشبه استخلاص الحكمة بالمعنى السقراطي، من خلال التوليد. إلا أن الفاعل في هذه العملية ملتصق بفعلته، ما يعني امتزاجاً مطلقاً بين كاتبة النص ونصها، ما ينعكس بدوره على التماهي بين الشكل ومضمونه، فتستعين الشاعرة بذاكرتها حيناً لتحكي عن خبرات شخصية مَضت، وتُقحم المتخيل على ما رأته كشاهدة حيّة من تجارب وأوضاع واقعية أحياناً: «فأنا أوّرّخ الزمن من خلال حدثين، الحب وموت أبي». وفي كل هذه الألاعيب الكتابية، هنالك نقطة ارتكاز أساسية تنبثق منها نصوص غادة نبيل، وتشكل فضاء هذا الكتاب، هو وضع المرأة العربية ومعاناتها. بالأحرى معاناتهن، لأن الشاعرة أيضاً في صلب الحدث «شيئاً فشيئاً، أصبحن لا يسمعن الموسيقى، يرمين في الإنبوكس فيديوهات عذاب القبر، وأضحت خطواتهن كخطوات الصخور». ومنه: «الأنوثة الكاملة والأمومة الكاملة، من اخترع هذه الكلمات، وسقاها لبويضاتنا التي تاهت؟ سكتنا». وفي خضم هذا الجوّ الحانق، السوداوي، تتشاكس غادة نبيل عبر شعريّة ساخطة السلطة، وما يندرج منها من سلطوية بكلّ أشكالها (دينية، ذكورية ومورثة) من خلال مشهديات حفرتها كلماتها نتيجة ما اكتشفته «هي تتحمل الإهانة في أثناء الجماع، من أجل طفل». وفي قصيدة أخرى «أما حين تكون السيدة هي القصيدة، فليس مطلوباً غير أن تكون مغطاة بالزفت، بلا لغة، كشيء مهزوم». ومن هنا نجدها تحمل كفاح المرأة، تتبنّاه، وترفعه كقضية مقدّسة على عاتقها لحدّ يصلح أن يكون كتابها ببياناً نسوياً تأسيسياً لإقحام الشعر في عملية المنازعة والصراع «أحمل على جلدي عيون كل النساء بوجوه مغطاة، في مساحة اغتصاب متكرر، لأشعر أنّي اخترت الاغتصاب».

المعاناة؛ بعملية تشبه استخلاص الحكمة بالمعنى السقراطي، من خلال التوليد. إلا أن الفاعل في هذه العملية ملتصق بفعلته، ما يعني امتزاجاً مطلقاً بين كاتبة النص ونصها، ما ينعكس بدوره على التماهي بين الشكل ومضمونه، فتستعين الشاعرة بذاكرتها حيناً لتحكي عن خبرات شخصية مَضت، وتُقحم المتخيل على ما رأته كشاهدة حيّة من تجارب وأوضاع واقعية أحياناً: «فأنا أؤرّخ الزمن من خلال حدثين، الحب وموت أبي». وفي كل هذه الألاعيب الكتابية، هنالك نقطة ارتكاز أساسية تنبثق منها نصوص غادة نبيل، وتشكل فضاء هذا الكتاب، هو وضع المرأة العربية ومعاناتها. بالأحرى معاناتهن، لأن الشاعرة أيضاً في صلب الحدث «شيئاً فشيئاً، أصبحن لا يسمعن الموسيقى، يرمين في الإنبوكس فيديوهات عذاب القبر، وأضحت خطواتهن كخطوات الصخور». ومنه: «الأنوثة الكاملة والأمومة الكاملة، من اخترع هذه الكلمات، وسقاها لبويضاتنا التي تاهت؟ سكتنا». وفي خضم هذا الجوّ الحانق، السوداوي، تتشاكس غادة نبيل عبر شعريّة ساخطة السلطة، وما يندرج منها من سلطوية بكلّ أشكالها (دينية، ذكورية ومورثة) من خلال مشهديات حفرتها كلماتها نتيجة ما اكتشفته «هي تتحمل الإهانة في أثناء الجماع، من أجل طفل». وفي قصيدة أخرى «أما حين تكون السيدة هي القصيدة، فليس مطلوباً غير أن تكون مغطاة بالزفت، بلا لغة، كشيء مهزوم». ومن هنا نجدها تحمل كفاح المرأة، تتبنّاه، وترفعه كقضية مقدّسة على عاتقها لحدّ يصلح أن يكون كتابها ببياناً نسوياً تأسيسياً لإقحام الشعر في عملية المنازعة والصراع «أحمل على جلدي عيون كل النساء بوجوه مغطاة، في مساحة اغتصاب متكرر، لأشعر أنّي اخترت الاغتصاب».

هكذا يغدو نص الشاعرة ساحة انتقام مفتوحة على اختلاف المضامين، بدءاً بإعلان العصيان بشكل صريح وصولاً إلى الهرطقة (كما يرد بالحرف). يكمن هذا العصيان المتمرد بشكل مباشر، حين تتهكم غادة نبيل «على كل من النقّاد، الشعراء وصولاً إلى القراء، على ما يرمزون به من مواقع تسنح لهم إطلاق الأحكام والمعايير إما بالفطرة أو بالتعدد: «أتف عليكم وعليكنّ وعلى نفسي. تخرون كالعجول في إسطبل مهجور منتظرين نتيجة لأتحدّ ما، سواء أكانت للقراء النقاد أم لمانحي الجوائز. نسيت وقرأت القراء «القردة»». ولا يسلم الأديب الخالد الذي حوّله التاريخ إلى أسطورة مقدّسة، من نقدها اللاذع، فتأتي قصيدتها عن «ماركيز» لتعلن ضرورة فعل الكراهية: «ربما الكراهية فعل يحتاج إلى تحديث، كصفحاتنا على فايسبوك، وماركيز يقترب من أن يصبح كلاسيكياً، يشعرني أني صرت كلاسيكية، أو أكتشف كلاسيكيتي السابقة». وتكون بذلك قد طبّقت نصيحتها على نفسها، كما جاء في قصيدة لاحقة «مهمٌ أن تتعلّم كتابة قصيدة كراهية جيدة، كلما زادت سُميّتها، تطمئن على قصائد الغرام». كما أنها تتهكّم باستفاضة على مفهوم البطل/ البطولة في محاولة منها لتزعزع السلطات من مفهومها الواعي وتفكك حاضر قوتها «على القرّاء أن يحبّوا الروايات التي تنغلق على أبطالها، أن يتخيّلوا أنفسهم أولئك الأبطال، عليهم تصديق أن الدوس هاكسلي كتب «الجزيرة» وشكسبير كتب «الملك لير». هذه الحقائق تعني وجود الله وتساعد على النوم».

استناداً إلى هذه النعرية الفضّاحة، تكون الشاعرة قد ثأرت من هذه الدعائم التي همّشت المرأة وأرست نفسها قوى قيّمة ووصيّة عليها. تفضي نصوص غادة نبيل وينسرب بعضها في بعض بأسلوب سرديّ مكثّف، نثري مُحتدم، تنطلق من الأشياء المتفلّتة أمامها لكنها لا تتوقف عندها؛ مهمتها التوليد، فتنقب في جوهر الأشياء وتسحبها خارجاً كما يفعل شخص يرى شخصاً آخر بالعاً لسانه. إنها تقف في المنتصف «الذين أحبوا الحقيقة مشوا، والذين كرهوها مشوا. هكذا لم يبقَ أحدٌ يخبرنا ما جرى للمجانين». وتُنفذ مهمة الوسيط؛ لسانها تعبيري حدّ الهذيان، يأخذ من الشعر قدرته على التصبيح عالياً، ومن شكله كما يحمل من ميلاد جديد «مرة ستكون يومة تعيد حكاية التي عشقت، فتكالبت أيديهم، واضعة رأسها في دلو ماء، ومرة ستكون قسّا، يسامح الربّ على خلق الجثة، ومرة ستكون قصيدة». لكن الشعر، مثلها في الوسط، أي يبقى غير كامل. فعلّ ناقص على الرغم من وجوبه «الأشياء التي أفوّت من أجلها الشعر، وتجعلني أكثر إنسانية، كان يمكن أن تحوّلني إلى طبيبة أو راهبة أو بائعة جسد كـلاس». وبهذا الشكل يحمل الشعر الحقيقي بالنسبة إلى غادة نبيل الإمكانات التي تزخر بحياة أرفع شأناً من هذا الواقع المرير، وأبسط من تعقيداته وأوضح من كذبه وزيفه، لتنهي نصوصها بجملة نهائية، بريئة وشفافة، تكاد تشبه الوصية «لا أرغب في قول شيء ذكي. أرغب في قول، إن رائحة النعناع في الأرض عظيمة».

نص أشبه بساحة انتقام مفتوحة على اختلاف المضامين، بدءاً بإعلان العصيان، وصولاً إلى الهرطقة

لمحات

روبير سوليه

يستعيد روبير سوليه في «وجوه مصر الحديثة» (نوفل/ هاشيت أنطوان) أبرز الوجوه الرائدة التي مرّت على تاريخ مصر، وأسهمت في رسم ملامحها كدولة محوريّة وغنيّة. يكتب الصحافي والروائي الفرنسي عن شخصيات مصرية سياسية وفكرية وفنية عملت على ضوء مقاومة الاستعمار، وزرع بذور القوميّة العربيّة، والمغامرة على طريق السلام، مثل محمد علي وإسماعيل باشا وهدى الشعراوي، وجمال عبد الناصر، وأم كلثوم وأنور السادات ونجيب محفوظ من بين عشرين شخصية يتوقّف عند مساراتها وأبعادها.

غسان شربل

«زيارات لجروح العراق» (دار رياض الريس) هو عنوان الكتاب الجديد للصحافي والكاتب اللبناني غسان شربل. وكما يشير عنوان المؤلّف، فإن شربل يكتب عن جروح العراق التي لا تلتئم في قراءة جغرافية وتاريخية للعراق وتحوّلاته في السنوات الماضية. يتوقّف شربل عند الموقع الجغرافي الشائك للعراق في المثلث الذي يضمه مع إيران وتركيا. كذلك يرى أنّ الصراعات الجديدة التي تلت اقتلاع نظام صدّام حسين، سرعان ما استبدلت الحكم الديكتاتوري بحروب طائفية وهوياتية كثيرة منها الحروب الشيعية-السنية، والجروح العربية-الكردية فضلاً عن علاقة العراق ما بعد صدام بالإدارة الإيرانية.

خالد النصر الله

بعد روايته «الدرك الأعلى» التي وصلت إلى القائمة الطويلة لـ «جائزة الشيخ زايد» (2017)، صدرت رواية «الخط الأبيض من الليل» (دار الساقي) لخالد النصر الله. تتمحور الرواية حول بطل أمضى طفولته في القراءة وتقليب صفحات كتبه المفضّلة. اهتمام كان لا بد من أن يقوده إلى العمل كمدقّق للكتب، يمضي معظم وقته بينها. متحدّياً الرقابة، ينحاز البطل دائماً إلى الروائيين والكتاب المتمرّدين، ليخوض تجربته الخاصّة بالنشر والطباعة بعدما يقرر الاستعانة بمطبعة ورثها عن أبيه، هذه خلفية الأحداث التي تتطوّر وتقود البطل إلى نهاية مريبة.

أنيس الرافعي

يعتمد أنيس الرافعي في مؤلّفاته القصصية على التجريب السردي في الأساليب والتقنيات. ملمح أساسي وقعنا عليه في مؤلّفاته منذ باكورته القصصية «فضائح فوق كلّ الشبهات» في التسعينيات، بالإضافة إلى مجموعاته التالية «أبرزها مصحّة الدمى». مؤلّفه الأحدث «مستودع الأرواح البديلة» (دار خطوط وظلال) هو طبعة جديدة ومنقّحة تجمع أربع مجموعات قصصية تشكّل فرصة لقراءة تجاربه المتنوّعة في القصّة هي: «الشركة المغربية لنقل الأموات» (2011)، و«أريج البستان في تصاريف العميان» (2011)، و«اعتقال الغابة في زجاجة» (2009) و«خيّاط الهيئات» (2018) التي تُعدّ آخر إصداراته.

هاتف الجنابي

أنطولوجيا شعرية مهمّة ستنضم إلى المكتبة العربية أخيراً عن «دار المدى». الكتاب الضخم الذي يقع في 900 صفحة يحمل عنوان «أنطولوجيا الشعر البولندي في خمسة قرون – من كوهانوفسكي حتى 2020»، جمع فيه الشاعر المترجم العراقي هاتف الجنابي 400 قصيدة من نتاجات الشعراء البولنديين، على مدى خمسة قرون. فضلاً عن المقدّمة الوافرة، ترجم الجنابي قصائد 63 شاعراً وشاعرة من مختلف الأجيال والحساسيات والحقبات التي تتضمّنت شعراء العصر الباروك وعصر التنوير، والحرب العالمية الثانية وما تلاها، وصولاً إلى الأجيال اللاحقة بالتزامن مع تحوّلات بولندا الحديثة.

عزيزة الطائي

تدرس عزيزة الطائي قصيدة النثر العمانية في مؤلّفها «السرد في قصيدة النثر العمانية – أشكاله وظائفه» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر). تحاول الأكاديمية والناقدة العمانية الإجابة عن أسئلة أساسية تتعلّق بمسار قصيدة النثر العمانية التي لا تنفصل عن تاريخ قصيدة النثر العربية. هكذا تتلمّس الطائي الملامح والتجارب المتنوّعة لهذه القصيدة، وجمالياتها، منذ المحاولات الشعرية الأولى في خمسينيات القرن الماضي، والتجارب التي تلتها في السبعينيات، والفترات اللاحقة وذلك بالتركيز على بعض السمات الأساسية منها التوجّه السردي فيها، ومدى حضور البيئة والواقع العماني فيها.

السبت 13 آذار 2021 العدد 4294
الأخبار al-akhbar
www.al-akhbar.com
كلمات

أوراق

أبو العلاء المعرّي: القفص والحرية

زكريا محمد *

نُظر إلى أبي العلاء المعري، بشكل عام، على أنه متمرد عقيدة، وليس متمرداً شعرياً. جرى التركيز على شكّه ولا- أدريته الدينية. أما شعرياً، فقد اعتُبر ضمن التيار الرئيسي للشعر العربي، إذا استثنينا حكم فئة من المحافظين، الذي اعتبروا أبا العلاء، إضافة إلى المتنبي، خارج الشعر، كما نرى من هذين المقتطفين عند ابن خلدون: «الشعر له أساليب تخصّه، لا تكون للمنثور. وكذا أساليب المنثور لا تكون للشعر. فما كان من الكلام منظوماً وليس على تلك الأساليب، فلا يسمى شعراً. وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبية يرون أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء». يضيف: «ولهذا كان شيوخنا رحمهم الله يعيبون شعر أبي بكر بن خفاجة، شاعر شرق الأندلس، لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد، كما كانوا يعيبون شعر المتنبي والمعري بعدم النسج على الأساليب العربية كما مرّ، فكان شعرهما كلاماً منظوماً نازلاً عن طبقة الشعر».

والحق أن لرأي هذه الفئة المحافظة ما يبرره. فالمعري رغم تمسكه بالشكل التقليدي للقصيدة، فإنه لم «ينسج على الأساليب العربية» بالفعل. على العكس، يمكن القول إنه هدم هذه الأساليب من أساسها. لكن لأن هناك من اختصر الأساليب الشعرية العربية بطريقة النظم، أي بشكل القصيدة المكوَّنة من أبيات مقسومة إلى شطرين ينتهي الأخير منهما بقافية وروي، فقد ضُم أبو العلاء عموماً إلى التيار الرئيسي في الشعر العربي، وتجوهل خروجه عن الأساليب الشعرية العربية.

وما زال تقليد اختصار الأساليب الشعرية بالشكل، بالقفص الخارجي، قائماً حتى الآن. فالقصيدة عندنا الآن ثلاثة أنواع: قصيدة عمودية، قصيدة تفعيلة، وقصيدة نثر، ولكل نوع معسكره الحربي الخاص. عليه، فالقصيدة ذات الشطرين تسمى الآن «عمودية»، أي أنها تسير مع «عمود الشعر العربي» كما هو مفترض، مع أن عمود الشعر يشمل في الأساس أغراض القصيدة من نسيب وتشبيب، وارتحال في الصحراء، ومدح وفخر، وما إلى ذلك. كل هذا هو «عمود الشعر»، لا التقطيع إلى شطرين متساويين.

وفي الأصل، فإنه من تقطيع القصيدة إلى شطرين أخذت القصيدة اسمها. ذلك أن التقصيد هو التقطيع: «القَصِيدُ من الشِّعْر: ما تمَّ شطر أبياته، وفي التهذيب: شطر أبنيته» (لسان العرب). لذا لا يوصف شعر الرجز والهزج بالقصيد: «ابن بُزُرج: قَصَدَ الشاعرُ وأَرْمَلَ وأَهْزَجَ وأَرْجَزَ من القصيد والرمَل والهَزَج والرَّجَز». بالتالي، فالقصيد هو طراز محدد من الكتابة الشعرية لا غير. أما عند الأخفش، فالقصيد هو القول على عدد من البحور التامة: «قال الأَخفش: القصيد من الشعر هو الطويل والبسيط التامّ والكامل التامّ والمديد التامّ والوافر التامّ والرجز التامّ والخفيف التامّ، وهو كل ما تغنّى به الركبان، قال: ولم نسمعهم يتغنون بالخفيف» (لسان العرب). وهكذا، فقطعة رجز للعجاج لم تكن تسمى قصيدة، لأن مصطلح قصيدة لا يتحدث عن الشعر بل عن الشكل، عن القالب فقط. وهذا يبطل حجة الذين يجادلون أنه لا تجوز تسمية ما يُكتب نثراً على أنه قصيدة. فشعر التفعيلة أيضاً خارج إطار «القصيدة» بالمعنى الأصلي للقصيدة. كما أن الموشح يقع خارجها أيضاً، وهكذا. فالقصيدة عند العرب قالب محدد يُحشر فيه الشعر، أياً كانت درجة الارتباط بين الشكل والمضمون.

أبو العلاء تمسك بشكل القصيد، أي بشكل الشعر العربي الأساسي. أكثر من ذلك، لقد ضاعف من قيود هذا الشكل. فقد ألزم القصيدة في ديوان «لزوم ما لا يلزم» بقيود شكلية لم تكن ملزمة لها. لقد رغب لها أن تكون قفصاً محكماً ومتقناً. هذا يعني أنه لم ير في الشكل عائقاً أمام ما يريد من الشعر. بل لعله رأى في تشديد القيود الشكلية سلّماً للوصول إلى الشعر. أي بدا له وكأنّ الطائر لن يغني حقاً إلا إذا كان داخل قفص مكتمل ومحكم. القفص هو الحرية إذن من وجهة نظر أبي العلاء في ممارسته العملية. لقد كان يحكم قفصه كي يحكم شعره. القفص ليس قيداً، بل حرية. فهدف الشاعر أن «يأسر الأرض والسماء داخل قفص الشكل»، كما قال لوتشي الشاعر الصيني القديم مرة. أما القفص الرخيّ، فهو الذي ينتج شعراً رخيّاً عنده، في ما يبدو لي.

بذا يمكن القول إن الثورة الشعرية التي أحدثها أبو العلاء المعري قبل أكثر من 800 سنة تسير عكس الثورة الشعرية التي بدأت حوالى منتصف القرن العشرين، وظلت متواصلة حتى الآن. الثورة الحديثة كسرت الشكل القديم، وخفّفت من عبء القيود عليها تصل إلى الشعر. أما ثورة أبي العلاء، فلم تكسر عنق الصنم القديم، بل عبدته، وقدمت له الأضحيات. مع ذلك، فلم تكن ثورته أقل جذرية من أي ثورة أتت بعده. بل لعلها كانت الثورة الأعمق والأكثر جذرية مقارنة بما قبله وما بعده.

لكن يبدو أن المحافظة على الشكل، بل وتقويته وتصعيده، هي ما جعلت الآخرين يحتملون ثورته ويغتفرونها له. التأكيد الصارم للشكل كان محاولة لتمرير الثورة الجذرية، بحيث يبدو وكأنّ الأمر لا يتعلق بثورة، بل بتغيير أو إصلاح طفيف. ولو أن أبا العلاء حطّم الشكل مع تحطيم الأسس والأنسجة، لما كان أحد احتمل ثورته.

ويجب القول إن أبا العلاء كان يعي ثورته الشعرية. أي أنه لم يكن يثور بفطرته من دون فهم عواقب هذه الثورة وحدودها. وقد عبّر عن هذا الوعي نثراً بوضوح، وإن باختصار وتكثيف. فقد أعلن في تصريح له أنه رفض الشعر. وقد فهم من هذا القول أنه يرفض الشعر كله: «وقد كنت قلت في كلام قديم إني رفضت الشعر رفض السَّقْبِ غرْسَه والرأل تريكته». والمعنى: أنني رفضت الشعر رفض ولد الناقة لقناع مشيمته بعد ولادته، وفرخ النعامة لقشرة بيضته التي غادرها. لكنه أوضح أن ما قصده إنما رفض أساليب الشعراء في عصره وطرقهم لا الشعر ذاته:

> نُظر إليه، بشكل عام، على أنه متمرّد عقيدة، وليس متمرداً شعرياً

«والغرض [من قولي ذاك هو رفض] ما استجيز فيه الكذب، واستعين على نظامه بالشبهات. فأما الكائن عظة للسامع وإيقاظاً للمتوسّن، وأمراً بالتحرر من الدنيا الخادعة». يضيف: «وقد وجدنا الشعراء توصلوا إلى تحسين الكلام بالكذب، وهو من القبائح، وزيّنوا ما نظموه بالغزل وصفة النساء ونعوت الخيل والإبل وأوصاف الخمر، وتسببوا إلى الجزالة بذكر الحرب، واحتلبوا أخلاف الفكَر، وهم أهل مقام وخفض في معنى ما يدعون أنهم يعانون من حثّ الركائب وقطع المفاوز ومراس الشقاء».

وهكذا يتضح بجلاء أن أبا العلاء يرفض الأساليب التي يلجأ إليها الشعراء للدخول إلى الأغراض الشعرية كما رسخت في التقليد الشعري حتى عهده. فالكذب هنا ليس خُلُقاً فقط، بل طريقة محددة في الكتابة. طريقة تبحث عن تهييج الشعر بأغراض محددة. وهو يرفض هذه الأغراض رفضاً مطلقاً. فلا غزل عنده بعد، ولا وصف للنساء، ولا نعت للخيل، ولا حرب، ولا عبور صحارٍ قاسية صعبة. فكل هذا حيل من أجل الوصول إلى الشعر. كل هذا كذب. وهو ليس كذباً أخلاقياً، بل كذب فني كذلك. وهو لا يريد هذه الحيل الكاذبة. إذ هو قادر على الوصول إلى الشعر من دونها.

لكن عليَّ أن أقول إنّ أبا العلاء كان يخلط بشكل ما بين التحرر الفني الشعري وبين التحرر من الجشع والمطامع الدنيوية. ذلك أن الشعر في تلك الفترة كان يمزج بينهما. فقد ارتبط التمسك بـ «عمود الشعر» عند الشعراء بالتكسب وبالمطامع الدنيوية بشكل لا فكاك له. لذا فقد اختلطت في ذهنه ثورته الفنية بثورته الزهدية الشخصية، وبدا له أن ما يفعله إنما هو نوع من «التحرر من الدنيا الخادعة». لكنه كان يفعل ما هو أعمق من ذلك بكثير حين تخلى عن أساليب الشعر.

على أيّ حال، فقد برّ أبو العلاء بوعده، وابتعد عن تكلفات الشعراء وأغراضهم. فليس في اللزوميات أغراض شعرية. ليس فيها غزل ولا نسيب ولا مدح ولا هجاء ولا فخر ولا حرب ولا وصف نياق ولا رحلة في الصحاري، ولا غير ذلك من أغراض الشعر والشعراء. وهكذا أطاح أبو العلاء بضربة واحدة فقط بأعراض الشعر العربي كلها. هناك فقط غرض واحد: ورطة الإنسان في الكون والحياة، ومحاولة تدجين الموت، وتأليفه. والإطاحة بأغراض الشعر تعني الإطاحة بعمود الشعر العربي من أساسه. من أجل هذا وضعه شيوخ ابن خلدون خارج إطار الشعر العربي: «كانوا يعيبون شعر المتنبي والمعري بعدم النسج على الأساليب العربية كما مرّ، فكان شعرهما كلاماً منظوماً نازلاً عن طبقة الشعر».

وهكذا فقد قبلوا بنظمه ولم يقبلوا بجوهر شعره. لقد أدركوا لعبته. فنظمه سليم، بل مضاعف في سلامته، لكن جوهر شعره خارجي وغير مقبول، وهو يطيح بأسس الشعر العربي كلّها.

* شاعر فلسطيني